روايات مصرية للجيب

سلة الروايات

21

Looloo
www.dvd4arab.com

حياة جديدة

سلة الروايات

فى البدء كان الحلم ..

وفى المنتهى كان الكتاب الذى بين يديك ..

والآتى سيكون دائمًا حلمًا فى كتاب ، أو كتابًا فى حلم !

(سلة الروايات) كانت بذرة مغروسـة فـى أرض الكتابـة البكر ..

كانت ومضة من أمنية تداعب قلب كل كاتب ..

وكل قارئ ..

وعندما تجلت الرؤيا ، كان التحقق فى الإمكان ، فانطلقت السلسلة واستمرت ..

هذه سلسلة منك ولك ، بكل ما تحمله العبارة من معنى ..

هذه السلسلة الممتدة بعون اللّه ليست إلا دعـوة مفتوحـة لكل من يحلم بكتاب يحمـل اسـمه وأفكـاره ولمسـة مـن إبداعه ..

وهى دعوة مفتوحة لكل قارئ أيضًا ..

ووعد بالجديد دائمًا ..

أرسل أعمالك وأفكارك واقتراحاتك على عنوان المؤسسة ، وإن كانت تصلح فسترى حلمك يخرجك إلى النور فى شكل كتاب ..

إنها دعوة مستمرة لا تتقيد بحدود الزمان والمكان ، الشرط الوحيد أن يكون عملك صالحًا ..

أسرع ، فنحن فى الانتظار ..

المؤسسة العربية الحديثة

١

« نحن نعطيك (حياة جديدة) بسعر مغر ..

الاختيار لك وحدك ..

أوقف شيخوختك ..

واستمتع مرة أخرى بحرية الشباب ..

وبالسعادة الأبدية .. »

* * *

أوراق الخريف جافة .. وصفراء ..

أراها عبر نافذة مكتبى بصعوبة ، ليس لأننى أنظر من الطابق العشرين ، ولكن لأن بصرى قد ضعف بشدة بعد أن حطمت حاجز التسعين عامًا منذ شهور قليلة ..

أوراق الخريف تكسو جذوع الأشجار الجافة ، وتتناثر عبر طرقات المدينة ..

أجد (هالة) السكرتيرة الشابة واقفة أمامى فجأة ، لابد

أنها قد طرقت الباب لكن سمعى لم يعد بالقوة الكافية ، حتى مع جهاز التقوية المتدلى إلى صدرى النحيل ..

أنظر إليها ، رقيقة الملامح عذبة المحيا ، لو أننى تزوجت فى سن طبيعية لكانت لى حفيدة فى مثل سنها ..

لو !

تضع أمامى الملف وتتحدث عن البريد وعن الأوراق المتأخرة وعن سير العمل ، أسمعها ولا أسمعها ، أنظر إلى النشرات الدعائية المتناثرة على مكتبى واعدة بحياة جديدة ، وأعجز عن مد يدى للتوقيع على الأوراق ..

الخريف ريح وذبول وموت ..

ـ فيما بعد ..

هتاف (شوقى) الصارم الذى يفزع (هالة) فتلملم أوراقها بسرعة ..

ـ .. أليس لديكِ نظر ؟! من الواضح أن عمّى متعب الآن ..

(شوقى أبو اليزيد) ، ابن أخى الضخم بشاربه الكث ونظراته النارية ، لم يكن أخى ـ رحمه الله ـ بهذه الضخامة، ولم يملك هذه الملامح المرعبة ، لكن (شوقى) ورثها عن عائلة أمه ، زوجة أخى رحمها الله أيضًا ..

ـ آسفة يا أستاذ (شوقى) ..

وتلوذ (هالة) بالفرار ، فيما يكشر (شوقى) أنيابه عن بسمة أعرفها :

ـ رائع ، تعوّدى أن تستمعى إلى أوامرى جيدًا يا فتاة ..

بسمة ذئب مفترس ينتظر الإيقاع بالفريسة :

ـ .. إنها مسألة وقت ، مسألة وقت ليس إلا !

وتبرق عيناه إذ ينظر إلىّ ، وقد جاهدت لمد يدى حتى أخفى النشرات الدعائية أسفل كومة من الأوراق البيضاء ..

منذ مدة و(شوقى) يجاهر بأطماعه علنًا دون أن يخشى لومة لائم .. إنه وريثى الوحيد ، وريث الأموال الطائلة التى أفنيت عمرى أجمعها وأضعها قرشًا إلى جوار قرش ؛ لتتضخم ثروتى وتتضخم وتتضخم ، حتى حطمت حاجز المليارات منذ بضعة سنوات ..

ينظر (شوقى) إلىّ ، ويمنّى نفسه بنهايتى القريبة ؛ فموتى الحتمى هو بداية تحقيق أحلامه الذهبية التى طال انتظاره لها ..

(شوقى) الذى فشل فى الحصول على مؤهل جامعى ،

وأضاع ميراثه المتواضع من أبيه وأمه على اللهو والعبث والمجون ، يعلق أحلامه الآن بالأموال التى فى جعبتى ، والتى ستكفى لرعاية طموحاته حتى نهاية عمره ، وربما أكثر ..

هكذا يعلن على الملأ بكل صفاقة ..

وأنا لا حول لى ولا قوة ، أحمل على كاهلى سنين من التعب والشقاء ، سنين من نسيان النفس والانغماس فى الصفقات والأرقام والعمل المتواصل ؛ لأكتشف بعد تسعة أعشار قرن أن الثروة قد سرقت منى عمرى ، تاركة إياى للوحدة والعجز وقلة الحيلة ..

تسعون عامًا مرت أمام عينى كلمح البصر ، لم أذق فيها طعم الراحة ، ولم أعرف فى يوم واحد منها معنى المتعة ، راحتى ومتعتى كانتا ـ فقط ـ فى العمل ، العمل المتواصل دون كلل أو شكوى ، ودون التفكير فى الحصول على استراحة قصيرة بين الأشواط المتعاقبة ؛ لمجرد التقاط الأنفاس ..

تسعون عامًا ، أجلس بعدها على مقعد فوق عجلات تتحرك بالكهرباء ، وأتناول أطنانًا من الأدوية اليومية ،

أدوية ارتفاع الضغط ، أدوية السكر ، أدوية حصوات المرارة ، أدوية الكلى ، أدوية تصلب الشرايين ، أدوية التهاب المفاصل ، أدوية تقوية الأعصاب ، فيتامينات وكبسولات ومحاقن ومحاليل وريدية ، كل هذا من أجل أن أتقدم نحو خط النهاية ببطء ، ودون كثير من المعاناة ..

تسعون عامًا ، بلا شريك ، بلا صداقة ، بلا حب ، بلا زواج ، بلا أسرة ، بلا أبناء أستند على أكتافهم بعد أن اشتعل الرأس شيبًا ، وبعد أن بلغ بى الكبر عتيًا ، بلا امتداد لكل ما بنيت وصنعت ، إلا (شوقى) الجاهز للانقضاض لحظة وقوع الفريسة داخل القبر ، ولولا بعض العقل وحساب النتائج لفعلها بيديه ، وعجّل بى نحو مصيرى ..

(شوقى) يعد الأيام وتمر عليه الشهور فى لهفة ، انتظارًا للتركة المهولة ..

إمبراطورية (فايز أبو اليزيد) الاقتصادية العملاقة العابرة للقارات ، بكل فروعها المترامية فى أنحاء العالم ، وأرصدة بنكية سائلة تتجاوز مليارين من الدولارات ، والعديد من الأصول الأخرى التى أعجز أنا نفسى عن حصرها ..

(فايز أبو اليزيد) اسم يعلو مجموعة اقتصادية عظيمة ، وبقايا إنسان فوق مقعد متحرك لا يقوى حتى على أن يلوك طعامه بطاقم الأسنان الجديد ..

(شوقى) يقترب منى رافعًا صوته حتى أسمعه بوضوح :

ـ .. لا بد أن يتغير النظام يا عماه ..

يدفع بالمقعد نحو النافذة ، وأنظر أنا إلى الشمس الغاربة بعيدًا عند خط الأفق ..

ـ .. حضورك إلى هنا مرة أسبوعيًا يشكل مشقة كبرى عليك بدون شك ..

الوغد يريد تنحيتى عن طريقه ببطء ، ولا بد أنه يفكر الآن فى دفعى بالمقعد من الطابق العشرين لأسقط أمام مبنى مؤسستى ميتًا ، لولا بعض من العقل .. وحساب النتائج ..

ـ .. تكفيك مرة شهريًا ..

الوغد .. الوغد .. الوغد ..

لكنها الصحة المعتلة تمنعنى حتى من النظر ناحيته ..

ـ .. ولتطمئن تمامًا ..

ألمح بسمته من خلف ظهرى ، وأشعر بثقل كفه فوق عاتقى ..

ـ .. ستدار الأمور وكأنك موجود وزيادة !

(شوقى) يعلن نفسه خليفة لى فى حياتى باسم الشباب والصحة والقدرة فى مواجهة الشيخوخة والمرض والعجز ، ويدفع المقعد بى نحو الباب دون أن يأخذ رأيى ..

ـ .. أرى أن هذا يكفى اليوم ، موعدنا الشهر القادم ..

ويسلم المقعد إلى سائقى الخاص (سرور) ، الشاب البسيط الذى لا أحلام له ولا طموحات ولا مواهب ..

ـ .. الوداع يا عماه !

ويغيب عن ناظرى تاركًا بسمته تملأ مخيلتى التى لم يصبها العطب بعد ، فيضعنى السائق بمهارة مكتسبة داخل السيارة (اللنكولن) السوداء الضخمة التى تشبه تابوتًا كبيرًا ، ويغلق الباب خلفى مغمغمًا :

ـ هذا الفتى يذكرنى بالخرتيت الذى أراه فى حديقة الحيوانات ..

أضحك ، فيخرج منى صوت أشبه بالفحيح .. حتى القدرة على الضحك أصبحت من ذكريات الماضى الذى لم أعشه كما يجب ، وكما أحب ..

يقول (سرور) بتلقائية وهو يجلس أمام عجلة القيادة خالعًا قبعته الرسمية :

-.. بل يذكرنى بحديقة الحيوانات كلها لو أردنا الحقيقة !

أنا أحب هذا الشاب وتؤنسنى خفة ظله غير المفتعلة ، لو أننى تزوجت فى سن طبيعية لكان لى الآن حفيد فى مثل سنه ..

لو !

انطلقت بنا السيارة ، واحتوانى اصفرار الخريف ، وخشخشة أوراقه الجافة ، حتى بلغنا القصر الخاص بى عند بداية طريق (القاهرة - الإسكندرية) الصحراوى ، فاجتزنا البوابة المعدنية السوداء ليتلقانى (توبة) على مقعدى المتحرك مرة أخرى ..

(توبة) فلاح من قمة رأسه حتى أخمص قدميه ، يرتدى الجلباب والعمة ، وله ذلك الوجه الذى يشبه أرضًا محروثة بالبذور والشتلات ، وهو البستانى الخاص بى منذ سنين طويلة أعجز عن تذكر عددها ، ولعمرى فما أكثر ما أعجز عن تذكره هذه الأيام ..

(توبة) هو ساعدى الأيمن إن يكن لى أن أدعى وجود ساعد أيمن لى أستطيع الوثوق به ، فهو - بالإضافة إلى البستنة - يطبخ ويكنس ويواظب على إعطائى أدويتى فى المواعيد

المحددة ، ويلبسنى ويغطينى عند النوم ويدخلنى دورة المياه ، إنه باختصار العكاز الوحيد الذى يمكننى الاستناد إليه فى أواخر أيامى هذه ..

لكن ، تبقى قدراته محصورة داخل جدران قصرى المنيف هذا ، فهو فى النهاية شخص بسيط محدود القدرات ، مثل (سرور) وإن كان فارق السن بينهما كبيرًا ..

نظرت إلى أكوام أوراق الشجر الجافة التى كومتها شوكة (توبة) إلى جانب السور العالى ، وأخذت أفكر فى الخريف مجددًا ، بينما يدفعنى (توبة) فوق المقعد إلى الداخل ..

القصر الذى لا تواتينى الراحة إلا بين جدرانه ، برغم القصور الأخرى والبنايات الأخرى والمقاطعات الأخرى التى أملكها فى جميع أنحاء العالم ، والتى أعجز عن حصرها هى الأخرى من ضمن ما أعجزنى الكِبَرُ عنه ..

العجز صديقى ، والخريف !

ربما لأنى قد بنيته حجرًا حجرًا ، وأسست كل ركن فيه كما أحب ، وها هى ذى الزخارف وقطع الأثاث والتحف والزرابى والنمارق شاهدة على حسى الكلاسيكى ، وعلى ندرة كل ما اجتهدت فى جمعه دون أن ألقى للتكلفة بالاً ...

الصالون الفرنسى المذهب ، المدفأة الخشبية العتيقة على الطراز الإيطالى ، الثريا التركية الضخمة فى منتصف السقف ، التماثيل الإغريقية والهندية التى ينصب الماء منها وإليها ، النوافذ الأربيسك والمشربيات ، ساعات الكوكو السويسرية ، السجاجيد الإيرانية ولوحة من قطع (سلفادور دالى) الأصلية ، كل شىء هنا فيه لمسة منى لذا أعشق هذا المكان ..

لمن سأترك كل هذا ؟!

لمن ؟!

أشير لـ (توبة) بأن يتوقف بى أمام المرآة الكبيرة المصقولة وسط الرخام المحفور حولها فى ركن الصالة ، فيفعل ..

أتأمل (فايز أبو اليزيد) الذى لا أعرفه ، والذى فوجئت به ـ منذ فترة قريبة للغاية ـ على هذه الشاكلة المفزعة ..

جلد يغطى عظامًا نخرة ، قطن أبيض فوق الرأس والعينين ، تجاعيد غائرة فى الجسد والروح ، حياة خابية فى عينين منكسرتين ، جبهة متغضنة ، يدان مرتعشتان ، وأنفاس تتردد فى صدر جثة ..

هل هذه هى النهاية يا (فايز) ؟!

تموت تاركًا خلفك كل ما غرست ، دون أن تستمتع بلذة الحصاد ؟!

تموت وأنت لم تحْىَ بعد ؟!

تموت ويضيع منك الوقت والحلم والعمر ونفسك ؟!

مأساة لاهية ..

ملهاة مأساوية ..

تراجيديا القدر الكوميدية بكل اقتدار ..

كدت أشير لـ (توبة) بأن يعاود التحرك بى نحو غرفتى ، عندما لمحت الكتيب الصغير الملقى على الأرض بإهمال ..

وبرغم المسافة البعيدة ، ورغم ضعف بصرى ، وبرغم التسعين عامًا فوق كاهلى ، لمحت الشعار المدون فوق الكتيب بوضوح :

* * *

(حياة جديدة)

وفكرت :

أجل ، ولِمَ لا ؟!

ماذا الذى سأخسره لو أننى ..... ؟!

★ ★ ★

٢

« يمضى بك العمر وتفقد أشياء كثيرة ..

أشياء كنت تفعلها ببساطة ودون مشقة أو تفكير ، أصبحت الآن محض ذكريات بعيدة ..

لم تعد تتمتع بهذه القوة ..

وجهك تكسوه التجاعيد ..

يطلقون عليك مواطنًا متقاعدًا ..

إن الزمن يتحرك متجاوزًا سرعة الضوء ..

ولسوف يطولك أينما كنت ..

ماذا يمكنك أن تفعل لكى توقفه ؟!

(حياة جديدة) هو الجواب ! »

★ ★ ★

ليل الشتاء برودة .. وأمطار ..

أضاء البرق فى الخارج للحظة ، منعكسًا على وجهى

وأنا أراقب الحديقة من غرفتى بالطابق الثانى من القصر ، عبر الزجاج الذى بللته أنهار المطر الدقيقة ، ومازالت ..

رشاشات المطر تخترق أذنى ـ من خلال جهاز التقوية ـ بعيدة عميقة ، ثم يهزم الرعد بقوة وجبروت ؛ فى حين يفتح (توبة) البوابة الخارجية السوداء أمام زوجى المصابيح المضاءة ..

لقد حضروا إذن ، فى موعدهم بالثانية ..

منتصف الليل تمامًا ، بعد ثلاثة شهور كاملة من مكالمتى الأولى لهم ..

منتصف الليل تمامًا ، الحد الفاصل بين يوم قديم يموت ، ويوم جديد يولد ..

جيد أننى لم أمت خلال هذه الفترة ، ربما لحكمة أن أخوض التجربة ..

ربما ..

ضيقت عينى قدر استطاعتى علّنى أستطيع ملاحظة ما يجرى فى الحديقة ، الظلام والأمطار والسيارة الحديثة التى يكسوها الوحل تربض فى سكون إلى جوار (اللنكولن) السوداء ؛ ليهبط منها شبح بدين قصير القامة ممسكًا بحقيبة سفر كبيرة ..

أرى (توبة) ينتهى من غلق البوابة ، ويهرول نحو الشبح رافعًا ذراعيه عاليًا ، ثم ينحنى ليحمل عنه حقيبته ، قبل أن يقوده إلى داخل القصر ليخرجا من مجال رؤيتى تمامًا ..

(توبة) والشبح القصير فى داخل القصر الآن ، صحيح أننى عاجز عن سماع تحركاتهما بالأسفل ، لكنى لم أفقد إحساسى بوجود الغرباء بعد ..

تحركتُ بمقعدى ضاغطًا الأزرار ، وتوقفتُ أمام المرآة ..

رأيت (فايز أبو اليزيد) ، أنا ، وقرأت فى وجهه تاريخًا طويلاً حانت نهايته ، وآن لحربه الطويلة مع نفسه والزمن أن تضع أوزارها ..

كم من عهود مرت بك أيها الرجل ؟!

كم رجلاً رأيت وصافحت ، ومع كم رجل تعاملت وتحدثت ، وكم من مواليد شهدت ، ومن جنازات حضرت !!

آن لك أخيرًا أن تستريح ..

تستريح ..

ولا شىء بعد ..

طرقات (توبة) فوق باب الغرفة ، ثم دخوله وصوته الريفى البدائى :

ـ الضيف بالأسفل يا (فايز) بك ..

استسلمتُ ليديه اللتين تولتا قيادة المقعد ، تذهب بى ببطء إلى الصالة المضاءة بالأسفل ، ومع سطوع برق مفاجئ ، رأيتُ الشبح هناك وسط قطع الصالون الفرنسى الأصلية ؛ منكبًا على صنع شىء ما بجوار حقيبته المفتوحة فوق السجادة الفخمة التى أفسدها ماء المطر ..

نهبط ونهبط ، ورويدًا تتضح تفاصيل الأشياء ..

لم يكن شبحًا ، وإنما رجل عادى قصير القامة أشيب الفودين ، فى منتصف الخمسينات تقريبًا ، يرتدى نظارة ذات إطارات مذهبة وأنيقة ، وبذلة زرقاء فاخرة تلمع فوق قوامه الممتلئ قليلاً ، وقد علق معطف الأمطار المبتل فوق المشجب الملاصق للباب الخارجى ..

كان غارقًا حتى أذنيه فى تنصيب شاشة على حامل معدنى ؛ شاشة براقة رقيقة للغاية لا تتصل بأية أسلاك ..

نهبط ونهبط ، ورويدًا رويدًا يرانا الرجل فتتهلل أساريره ، ويشرق وجهه بالابتسام :

- مساء الخير يا سيدى ..

يدوى الرعد فى الخارج ونحن نقترب منه :

- .. الدكتور (أمجد هيكل) ، من مؤسسة (حياة جديدة) المحدودة !

أقف فى مواجهته ، وأمد يدى فى وهن لكى أصافحه ، فيقترب منى مهرولاً ويحمل كفى المعروقة بين أصابعه القوية ، بينما يتركنا (توبة) متجهًا إلى حجرته خارج القصر ..

صمت إلا من رشاش الأمطار فى الخارج ، ثم :

- .. سعيد بلقائك يا سيد (فايز) ، إننا لا نقابل هذا الصنف من العظماء كل يوم ..

لا نكتسب صفة العظمة إلا عندما يكون السمع أضعف من أن يطرب لها !

أحاول النطق ، فيخرج صوتى كفحيح ثعبان عجوز :

- الشكر لك ..

يتراجع الدكتور (أمجد) .. يتعانق كفاه وهو يقول باسمًا :

- بل الشكر لك أنت يا سيدى على الثقة التى توليتنا إياها ، كل ما أستطيع أن أعدك به هو أن نكون عند حسن ظنك ، وأعتقد أننا نستطيع أن نكون كذلك ..

فحيح :

- بالتأكيد !

يخرج الدكتور (أمجد) من جيبه جهازًا صغيرًا للتحكم عن بعد :

ـ اسمح لى أولاً أن أريك إعلاننا الجديد الذى سنطلقه قريبًا عبر أكثر من قناة تلفزيونية ، وعبر شبكة المعلومات الدولية أيضًا ..

نظرت إلى الشاشة ، وبضغطة زرّ بدأ العرض على الفور ..

موسيقى ناعمة كأنها آتية من عالم آخر ، عالم ساحر شفاف لم يتمنَ أحد ألا يذهب إليه ..

ظل إنسان بعيد يتشكل عبر بؤرة ضوء فى الخلفية ، ثم الصوت الأنثوى الناعم :

(.. اعتدنا أن نحلم .. أن نوجد ..)

سحاب بنفسجى على خلفية من سماء زرقاء ..

(.. نولد .. ننمو .. نكبر .. نعيش .. نسقط ..)

صور متعاقبة لمراحل نمو الإنسان من الطفولة حتى الشيخوخة ..

(.. دون أن نسأل ..)

كرات معدنية ثلاثية الأبعاد تتقافز على مدى مفتوح ..

(.. يموت المولود بعد أن يولد مباشرة .. دون أن يُمنح فرصة الاختيار ..)

الكرات المعدنية تتقافز على المدى المفتوح ..

(.. يصاب الكهل بتغيرات غير قابلة للانعكاس ..)

الكرات المعدنية تندمج لتكون كرة واحدة كبيرة ..

(.. هل من الممكن أن يحتفظ الإنسان بقدراته هذه للأبد ؟!)

تنشق الكرة ويخرج منها إنسان جديد .. شاب .. مفعم بالحيوية ..

(.. مجرد أحلام ؟! كلا ..)

الشاب يمد يده لتتراص فوقها كلمتا (حياة جديدة) بحروف لاتينية ..

(مع حياة جديدة .. ليست مجرد أحلام ..) ..

وتظلم الشاشة ..

يسألنى الدكتور (أمجد) وهو يضغط زر الإيقاف :

ـ ما رأيك ؟!

أجيبه بمزيد من الفحيح :

- جميل !

كفاه يتعانقان :

- أتعشم أن تكون قد اتخذت قرارك يا سيدى ..

أقول الصدق :

- أحتاج إلى معلومات ..

يهز رأسه متفهمًا ، لقد توقع هذا بالتأكيد :

- لهذا أنا هنا يا سيدى ..

وبدأ دون مزيد من المقدمات :

- .. أنا يا سيدى لست إلا مندوبًا عن مؤسستى (حياة جديدة) ، وممثلها الرسمى فى منطقة الشرق الأوسط منذ أكثر من عشرة أعوام ، بمعنى أننى مجرد فرد فى طاقم كامل يعمل بهمة منذ قرن كامل لأن يمنحك ويمنح غيرك حياة جديدة ، بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ ..

هززت رأسى متفهمًا ، ومنتظرًا المزيد :

- .. (حياة جديدة) مؤسسة دولية عابرة للقارات ، هى

الأولى والأخيرة من نوعها فى العالم كله ، يقع مقرها فى مكان ما من شرق (آسيا) ، ولا نحدد موقعها الفعلى إلا لعملائنا الثقاتَ بعد أن يوقعوا اتفاقات الموافقة والحفاظ على السرية المطلقة ؛ وذلك لأسباب لا تخفى على أحد ..

هذا أيضًا أفهمه ..

- .. ما الذى يا سيدى ؟! نحن نمنحك تذكرة سفر إلى حياة أخرى حافلة بالشباب وبالانطلاق وبالقدرة على ممارسة الحياة .. إن الإنسان يقضى ثلاثة أرباع عمره فى جنى المال وبناء مستقبله ، ثم يقضى الربع الأخير فى إنفاق كل ما جمعه على العلاج من الأمراض وإخفاء آثار الشيخوخة ، أو لنقل التعامل معها بالحسنى حتى تقضى عليه فى هدوء قاتل ، وفى وحشية قاسية .. السؤال هو : كيف يمكننا أن نفعل ذلك ؟!

أتحفز ، وأضبط من وضع جهاز تقوية السمع فى أذنى حتى لا تفوتنى شاردة ..

- .. الإجابة العلمية البسيطة هى : زراعة المخ البشرى !

هذا ما أردت سماعه من البداية ؛ لنرَ :

- .. إن العلم قادر الآن على زراعة الكبد والرئة والقلب والكلية ، وبل ومؤخرًا الأطراف ، ومع التقدم الرهيب

والمتسارع فى مجال زراعة الأعضاء البشرية ، بدأ الباحثون يفكرون فى شىء بدا غير قابل للتفكير من قبل ، أعنى زراعة المخ البشرى .. صحيح أنه أمر يليق بالخيال العلمى ، خاصة لو استعنا بالمثال الأشهر على ذلك : أعنى مسخ (فرنكشتاين) الذى تم تجميعه من أجزاء بشرية متفرقة منها المخ بالطبع ، لكننا هنا لكى نقدم لك النسخة العصرية من القصة ، حيث نزرع المخ البشرى بكل تعقيده فى جسد آخر !

مازالت المسألة غائمة :

ـ .. سأضرب لك مثلاً يا سيدى : لنفترض أن لديك سيارة أصابها القدم وكثرت فيها الأعطال ، بحيث لم يعد الإصلاح مجديًا معها ، أليس أفضل ما تصنعه بها عندئذ هو أن تلقيها فى أقرب مقبرة للسيارات ، وأن تبتاع سيارة جديدة تلائم متطلباتك ؟! صحيح ؟! جميل جدًا .. لنفترض إذن أن عقلك الذى يحمل هويتك هو سائق السيارة ، وأن جسدك هو السيارة التى أصابتها أدران الشيخوخة ، ألن يكون رائعًا أن تكون قادرًا على تغيير جسمك البشرى بنفس السهولة التى تغير بها سيارتك ؟! (حياة جديدة) هو البرنامج الطبى الفريد الذى جعل هذا ممكنًا ..

الموضوع يتضح ، ويشير فى عروقى المتصلبة بالكوليسترول إثارة لم أعهدها منذ زمن :

ـ .. إنه يمنحك تذكرة سفر إلى حياة جديدة داخل جسد جديد تختاره بنفسك ، نقوم بنقل مخك الذى يحوى هويتك إليه ، فتعود من خلاله إلى الشباب ثانية .. أى أن زراعة المخ البشرى ليست فى حقيقتها إلا تقنية جراحية حديثة تمنحك فرصة تغيير جسدك عوضًا عن إصلاحه ، وهى بهذا المنظور زراعة جسد كامل ، لا زراعة عضو واحد !

تحمل لى كلماته أملاً ظننته مستحيلاً :

ـ .. بدا هذا فى البداية ضربًا من المستحيل ، خاصة فى أوائل القرن العشرين عندما كان بعض العلماء الفرنسيين والروس يجرون تجاربهم على الكلاب والقرود داخل المعامل من أجل زراعة رعوس كاملة فوق أجساد حية تضخ إليها الدم .. وحمل (روبرت وايت) الطبيب الأمريكى الأشهر منذ منتصف ستينات القرن على عاتقه مهمة البحث فى مجال زراعة الرعوس هذه ، حتى أعلن فى منتصف الثمانينات أن المجال أصبح مفتوحًا أمام زراعة الأدمغة البشرية منذ وقتها ، وهو ما جعله ينال عن استحقاق لقب (فرنكشتاين العصر الحديث)(*) !

(*) حقيقة !

لمع بريق كان قد خبا طويلاً فى عينىّ الذاويتين :

- .. التحدى الطبى الحقيقى كان يكمن فى نقطة واحدة ، إننا ننقل المخ إلى دماغ العائل ونقوم بتوصيل الأوردة والشرايين جراحيًا حتى يسرى الدم إلى المخ ، لكن مسألة إعادة توصيل النخاع الشوكى وأعصاب العينين والأذنين وبقية أعصاب الجمجمة بدت مستحيلة ، خاصة مع الاعتقاد القديم بأن الخلايا البشرية العصبية لاتتجدد ، لكن التقدم السريع فى مجال أبحاث النخاع الشوكى أثبت بأدلة قاطعة أن تجدد الخلايا العصبية ممكن تحت ظروف معملية خاصة جدًا ، وهو ما فتح الأمل الواسع أمام تقنيات علاج إصابات النخاع الشوكى ، والجلطة الدماغية ، والصرع ، والشلل الرعاش أو مرض (باركنسون) ، و .. زراعة المخ البشرى بالطبع !

أتحفز أكثر وأكثر :

- .. هكذا ياسيدى ، نحن نعد مسرحين للعمليات بفريقين طبيين متكاملين ، أعمل أنا مشرفًا عليهما ، الفريق الأول ينتزع المخ من جسدك ، ويضعه فى وعاء من أجل التهوية بالدم الطازج ، ويعمل الفريق الثانى بتناسق خاص لأخذ هذا المخ وزراعته فى الجسد الجديد ..

يبدو الأمر عند قوله سهلاً لكنه فى الحقيقة مجهود عظيم يستغرق أكثر من ثمانى عشرة ساعة فى غرفة العمليات ..

أكاد أقفز من فوق مقعدى وأحتضنه ، لكنه سجن العجز الخانق :

- .. الأمر الأكثر أهمية من موافقة المعطى هو إيجاد العائل المناسب الذى سينقل المخ المزروع إليه .. لدينا تشكيلة كبيرة من الأجساد البشرية من أعمار وأعراق مختلفة ، يمتد طيف العمر الخاص بها من ١٣ إلى ٣٠ عامًا ، لديك الخيار فى إجراء جراحة تجميلية لجسدك الجديد قبل أن تبدأ عملية زراعة المخ .. سنقدم لك ألبوم المؤسسة لتختار الجسد الذى يناسبك ، فقط بعد أن نجرى التحاليل اللازمة للتأكد من تطابق مؤشراتكما الحيوية حتى لايرفض الجسد المخ الجديد ، ولأسباب أخلاقية نحن لانناقش كيف نحصل على الأجساد التى لدينا ولامن أين نأتى بها ..

هذا مفهوم ، أومأت برأسى ..

- .. قد يستغرق الأمر بضعة شهور حتى نجد الجسد المناسب ، لكننا قد نعثر عليه قبل هذا بكثير ..

كاد أملى يخيب ، عندما تذكرت بأن ليس لدى ما أخسره ..

ـ .. نحن يا سيدى فى (حياة جديدة) نملك أكفأ العاملين فى المجال الطبى على مستوى العالم ، جراحو المخ والأعصاب خاصتنا لديهم أفضل الخبرات التى تجعل كل هذا ممكنًا ، نستخدم أحدث التقنيات فى المجال العلمى ، مندوبونا فى كل مكان من العالم جاهزون لتحديد مواعيد مقابلتك أينما كنت ، لدينا استعدادات وتجهيزات تعيننا على الاكتفاء ذاتيًا ، وطاقمنا الأفضل يستطيع جعل الدنيا تبدو مختلفة فى عينيك دائمًا !

أشعر برغبة فى الطيران والتحرر ..

ـ .. بقيت نقطة السعر ..

طاوعنى لسانى هذه المرة على الفحيح :

ـ ليكن ما يكون ، سأدفع !

قال الدكتور (أمجد) مغتبطًا ، وقد سره اقتناعى بهذه السهولة والسرعة :

ـ .. فقط بـ ٥ ملايين دولار ، ستحصل على جسد بشرى

جديد تمامًا ، بأى عمر تختاره ، وبأى تعديلات يمكننا إجراؤها عليه .. يشمل السعر التجهيزات الطبية والقانونية وعمليات الجراحة الميكروسكوبية وإقامة فترة النقاهة ، هناك ١٠ ٪ لأول عشر زبائن ، ولحسن الحظ فأنت منهم يا سيدى !

فححتُ :

ـ متى يمكننا البدء ؟!

دوى الرعد فى الخارج ، مع الضوء الذى انعكس على ابتسامة الدكتور (أمجد) وهو يقول فى هدوء واثق :

ـ الآن يا سيدى ..

ثم مزيد من الرعد ، والهدوء :

ـ الآن !

★ ★ ★

٣

«نحن نذهب على أرض الواقع ..

إلى ما ذهبت إليه (مارى ويلستونكرافت شيللى)[*] على أرض الخيال !»

★ ★ ★

أنزلنى (سرور) من السيارة السوداء، ودفعنى على المقعد المتحرك نحو بوابة المطار بينما (توبة) يحمل حقيبتى على كتفه من خلفنا، و(شوقى) الوغد يغمغم بجوارى متأففاً :

- لم يكن لهذه الرحلة من ضرورة !

يستكثر على تكاليف الرحلة البسيطة، كأنه قد ورثنى وانتهى الأمر ..

ماذا لو عرف إذن بأمر الملايين الخمسة ؟! أو بأمر المفاجأة الرائعة التى سأكشف له عنها بعد عودتى، إن قدر لى أن أعود ؟!

(★) مؤلفة رواية (فرنكشتاين) السويسرية الجنسية ..

قلت وأنا أضع يدى على فخذى متألماً :

- آلام المفصل أصبحت لا تطاق !

هذا هو الغطاء الذى أسافر به، عملية تغيير مفصل الفخذ ثم .. بوم، وفاة فى أثناء الجراحة وألهمكم اللّه الصبر والسلوان ..

قال (شوقى) فى صفاقة يحسد عليها :

- لو أجريت جراحة لكل عضو يؤلمك فستنفد ثروتك دون طائل ..

قلت متجاهلاً تلميحه الصريح :

- اهتم بسير العمل حتى أعود يا (شوقى) ..

مط شفتيه وقال ممتعضاً :

- لا توصِ حريصاً ..

- وأنت يا (توبة)، اهتم بالحديقة والمنزل !

- بالتأكيد يا باشا !

- السيارة عهدتك يا (سرور) ..

- ستعود لتجدها قد أصبحت موديل العلم القادم يا سيدى ..

أضحكنى اللعين ، وأنا أقول فى تراجيديا :

ـ ربما تكون هذه رحلتى الأخيرة !

تمنيا لى طول العمر وصمتَ (شوقى) ، لماذا يجشم نفسه عبء الكذب ؟!

ـ على الأقل كنت أسافر معك !

قالها الوغد فى ضيق بالغ ، هو بالطبع يريد قضاء وقتٍ سعيد فى الشرق الأقصى مع الفتيات الآسيويات الحسناوات على حساب صاحب المحل ..

الصبر طيب يا بن أخى !

ـ ومن يعتنى بالعمل فى غيابى ؟!

قلتها ولم يقتنع ، لكنى لن أشغل بالى بإقناعه ، فأمامى ما هو أهم من هذا بكثير ..

* * *

اللون الأبيض يشع من كل ركن فى الغرفة ، الحوائط والسرير والمقاعد وحتى الحامل المعدنى الذى ينقط منه محلول الجلوكوز عبر أنبوب دقيق إلى وريد فى ذراعى ..

يدفع الدكتور (أمجد هيكل) باب الغرفة داخلاً ، ممسكًا بأوراقٍ كثيرة ..

حتى هو يرتدى معطفًا ناصع البياض ، تم تطريز كلمتى (حياة جديدة) بالحروف اللاتينية الصفراء على جيبه العلوى ..

ـ نحتاج إلى توقيعك على بقية أوراق التعاقد وإقرارات خلو مسئوليتنا ، سيد (فايز) ..

يقولها ويضع الأوراق أمامى ، فأنظر إلى السطور التى تحتاج إلى دهر لقراءتها ، ثم أمد يدى المرتعشة وأوقّع دون أن أقرأ شيئًا ..

يبتسم الدكتور (أمجد) :

ـ .. وهناك خبر رائع ..

الشىء الوحيد الذى يمكن أن يكون رائعًا الآن هو أن أخرج من هذا المعتقل الطبى الذى قضيت فيه أسبوعًا من العناية الفائقة ..

اشتقت إلى منزلى كثيرًا ..

يضع الدكتور (أمجد) ألبومًا ضخمًا أمامى وهو يفسّر روعة الخبر :

ـ .. ستختار جسدك الجديد الآن ؛ لتنتقل إليـه بعد ٤٨ ساعة فقط ..

هذا خبر رائع بالفعل ..

بدأت فى تقليب الصفحات السميكة بينما واصل هو :

ـ .. هذه هـى الأجساد الصالحـة لننقل إليها مخك دون خشية الرفض النسيجى ..

أقلب فـى الصفحـات ، هنـاك بيض وزنـوج وآسـيويون وشرقيون ..

ـ .. اليومان هى الفترة الكافية حتى نخرج الجسد الذى تختاره من الثلاجة ، ونذيبه قبل البدء فى إجراء العملية ..

تشكيلة واسعة بالفعل ، ومحيرة !

يسألنى الدكتور (أمجد) :

ـ .. هل اخترت هويتك الجديدة ؟!

أومأت برأسى أن نعم ، وأنا لا أزال أقلّب :

ـ أجل ، ونقلت باسمها جميع أملاكى قبل القدوم من (القاهرة) بشكل قانونى تمامًا !

أكـاد أسـأله أن يساعدنى ، كأننى أنتقـى ملابس جديدة أو منزلاً جديدًا !

يقول فى تأييد باسم :

ـ نعم ، هذا ضرورى ..

وجوه ، ووجوه ..

ـ .. ما الاسم الجديد الذى اخترته لنفسك ؟!

عضلات مفتولة ، قوام ضئيل ، ربعة ، نحيل طويل ، قزم ..

ـ (ميلاد) ..

نطقت بالاسم فى بساطة وكـأننى لـم أتعذب ليـالى طويلة للوصول إليه ..

ـ اسم جميل ، ومعبر ..

قالها الدكتـور (أمجـد) فـى مجاملـة لـم تخـل مـن بعض الحقيقة ، بينما تابعت أنا :

ـ (ميلاد فريد) ..

أومأ برأسه وهو يقول ببسمته الواثقة التى لا تزول أبدًا :

ـ سنستخرج له جميع الأوراق الرسمية اللازمة فـور أن تختار شكـ ..

قاطعته وأنا أشير إلى الصورة فى الألبوم :

ـ هاهو ذا ..

اشرأب الدكتور (أمجد) بعنقه ، ونظر إلى الصورة التى تنقصها الألوان ، والتى تمثل شابًا قوى البنية ، أصلع الرأس تمامًا ، حاد الأنف ، طويل الرموش ، صغير الفم ، تستدير شامة بنية دقيقة على خده الأيسر ، وهو مستلق على سرير معدنى فى إغماضة أبدية ..

لماذا اخترته ؟!

لماذا هذا الشاب بالذات ؟!

لن أعرف أبدًا !

حمل الدكتور (أمجد) الألبوم وهو يضع إصبعه بين الصفحتين قائلاً :

ـ اختيار موفق ..

ثم غمزنى بالابتسامة الواثقة نفسها :

ـ .. استعد للعملية ، والحياة الجديدة يا بطل ..

قلت وأنا أخلع نظارتى ذات العدسات المقعرة :

ـ أحتاج إلى مرآة ..

قطب يسألنى مستغربًا :

ـ مرآة ؟!

أجل ..

ـ أحتاج لأن ألقى نظرة أخيرة ، على حياتى القديمة !

★ ★ ★

إلى اللقاء يا وجهى العتيق المحفور بالترهلات وبالذكريات ..

إلى اللقاء يا (فايز) ..

أم أقول .. وداعًا ؟!

★ ★ ★

ينسحب الدرج المعدنى الكبير ..

دخان أبيض ينقشع ببطء ، عن وجه شاب له شامة فى الخد الأيسر ..

وجه بلا تعبير ..

وجه الموت ..

★ ★ ★

الوجهان فى غرفة العمليات ..

سريران يسيران على عجلات .. يتجاوران ، وأنا أنظر إلى وجهى الجديد الغارق فى الغموض وفى البعيد وفى الجليد ..

ثم أشعر بقلبى يخفق فى رعب الميلاد الجديد ..

والحياة الجديدة ..

يتحلق من حولى الأطباء والممرضون والممرضات ، يرتدون أزياء بيضاء كأنهم ملائكة ، وكأننى مقدم على موت ، لا على حياة كما يدّعون ..

يتحلقون حولى وحوله دون أن تبدو من وجوههم إلا العيون ، يعدون أدواتهم ومشارطهم ، بينما يقترب منى الدكتور (أمجد) ؛ الوحيد الذى نزع كمامته القماشية ..

ـ مستعد ؟!

تند عنى الكلمة دون إرادة :

ـ خائف ..

ابتسامة واثقة :

ـ اسأل الجنين بما يشعر به قبل الولوج إلى الحياة ، ولن تختلف إجابته كثيرًا ..

أشعر بأحدهم يدنو من ذراعى ، ويعد محقنًا ..

ـ .. الآن ، سوف تذهب إلى عالم آخر .. عالم النوم الجميل ..

إنه طبيب التخدير ، وهذا محقن التخـ .. آى !

ـ .. وعندما تنهض ، ستكون إنسانًا آخر ..

أفرغ الطبيب محقنه بسرعة ، وابتعد ..

ـ .. ستكون ..

أتجه ببصرى إلى الوجه المحنط على السرير المجاور ، بالشامة على الخد الأيسر ..

ـ .. (ميلاد فريد) ..

أغيب ..

ـ .. سيذهب (فايز أبو اليزيد) إلى الأبد ..

أغيب ..

ـ .. إلى حياة جديدة ..

أغيـ ..

* * *

ظل بعيد يتشكل عبر بؤرة ضوء فى الخلفية ، ثم تظهر الشامة على الخد الأيسر ..

يهتف (شوقى) فى وقاحة :

ـ لماذا لا تموت ؟!

ويقفز (سرور) ليجلس فوق كتفيه مدليًا قدميه على صدره :

ـ أحب قيادة الخراتيت فى حدائق الحيوان ..

(توبة) يرفع فأسًا فى وجهى :

ـ من أنت ؟! أنا لا أعرفك ..

و(فايز أبو اليزيد) يقف بعيدًا ، يمسك بيديه العاريتين جنينًا يصرخ والدم يلوث جسمه المكرمش :

ـ أسمى هذا ميلادًا فريدًا ..

أركض بعيدًا ، أتعثر فى حجر غير موجود ..

ثم أسقط فى بئر عميقة بلا قرار ..

★ ★ ★

ـ افتح عينيك ..

أفتحهما ببطء شديد ، وأنا أستعيد إدراكى ببعض الصعوبة ..

ـ .. مرحبًا بك يا عزيزى ..

الصوت أعرفه ، (أمجد هيكل) بالطبع ..

بعض الضباب فى مجال الرؤية ، ثم ..

الدكتور (أمجد) كما أعرفه ، والمكان يشع بالبياض المشع ..

الابتسامة الواثقة إياها :

ـ .. أخبرنى أنك تستطيع الاعتدال فى جلستك حتى يرقص قلبى طربًا ..

تطاوعنى أطرافى فى ليونة عجيبة ، وأعتدل بمنتهى البساطة ..

والحيرة ..

وجه الدكتور (أمجد) يطفح بالبشر :

ـ .. مبارك ، لقد نجحت العملية بنسبة ١٠٠ ٪ ..

أنا أرتدى ملابسى البيضاء ، لكن شيئًا ما تغير فى جسدى ، يدى ليست هى يدى ، وذراعى ليس هو ذراعى ، و ...

نظرت إلى الدكتور (أمجد) طالبًا :

ـ مرآة !

رباه ، هذا ليس صوتى ، ليس هو بالمرة ..

لم يكن هذا الصوت الغليظ حتى فى أبعد أيام عنفوانى وشبابى ..

ـ بالطبع ..

كان جاهزًا بها ، فرفعها فى وجهى وهو يتابع :

ـ .. يا سيد (ميلاد) ..

وشهقت عندما رأيت رأس الشاب الأصلع تمامًا ، والشامة على الخد الأيسر ..

وكذلك فعل الشاب الذى فى المرآة ..

انفعاله يشبه انفعالى ، وشهقته متزامنة مع شهقتى ..

إلى حد التطابق !

* * *

٤

(الطعام الشهى ..

الحب والرومانسية ..

السفر إلى بلاد بعيدة ..

افتقدت كل هذه الأشياء ؟!

(حياة جديدة) تعدك بما هو أكثر من هذا ..)

* * *

الربيع أزهار .. وجمال ..

هبطت من سيارة الأجرة ذات اللونين الأبيض والأسود أمام بوابة قصرى ـ قصر (فايز أبو اليزيد) سابقًا إن لم أعتبرنا شخصًا واحدًا ـ لأشم عبق البنفسج وعبير الياسمين ؛ ولينعم بصرى برؤية الورود البلدية المتفتحة فى أحواض الحديقة عبر البوابة ..

إن (توبة) يجيد عمله حقًا ، وإن كنت أشم هذه المرة بأنف آخر ، وأرى بعينين مختلفتين ، وأحس بقلب آخر ..

نقدت السائق أجره الضخم ـ على توصيلى من المطار إلى هنا ـ بالدولار ، ولما رأيته سعيدًا نفحته بالمزيد عن رضا وطيب خاطر ، اليوم أنا أريد أن أسعد كل من أراه ، الجميع فيما عدا شخصًا واحدًا بالطبع ..

انطلقت السيارة بعيدًا ، واقتربتُ من البوابة بالـ (تى شيرت) الرياضى الذى أرتديه فوق سروال قصير يجاوز أسفل ركبتىَّ بمسافة وجيزة ، على عينى نظارة شمس ذات ماركة عالمية معروفة ، وعلى كتفى الحقيبة الصغيرة التى لا تحوى الكثير من الحاجيات ..

كدت أضغط زر الجرس من الخارج عندما أتانى الهتاف المباغت :

ـ من هناك ؟!

هذا (توبة) ، يتجه نحو البوابة من الداخل مهرولاً ، وهو يرتدى جلبابًا كحليًا متسخًا بالطين وبالتراب ..

لن يعرفنى ، هذا بديهى ، ولن أستطيع مصارحته بأنى أعرفه ، برغم شوقى الشديد لذلك ..

هتف بى زاجرًا وهو يقف أمامى ، تفصل بيننا قضبان البوابة السوداء :

ـ .. من تريد يا أستاذ ؟

سألته وأنا أتشرب ملامحه بعينىَّ الجديدتين :

ـ أنت البستانى هنا ؟

ـ أجل !!

لكنته الريفية المحببة ، وبراءة الأطفال فى عينيه ..

ـ أنا المالك الجديد لهذا القصر ..

هتف بى منزعجًا :

ـ ماذا ؟ غير ممكن .. غير معقول .. اذهب بعيدًا ..

سألته مستغربًا :

ـ ألم يبلغكم نبأ وفاة (فايز أبو اليزيد) فى أثناء العملية الـ ... ؟!

قاطعنى دون أن يفلح فى السيطرة على دهشته وانزعاجه :

ـ بلغنا الخبر منذ أسبوع تقريبًا عن طريق ابن أخيه ، لكنه لم يخبرنا بشىء عن بيعه للقصر ، أنت تكذب حتمًا أيها الشاب الصغير ..

كدت أخبره بكل شىء ، لكنى فكرت أن عقليته لن يمكنها استيعاب الأمر ، وحتى لو استوعبه فسيزيد هذا من شكوكه فى كونى أكذب ..

أحطت قضيبًا معدنيًا بأصابعى وأنا أهتف به مؤكدًا :

ـ أنا (ميلاد فريد) صاحب هذا القصر بالأوراق الرسمية ، ليست مشكلتى أن (شوقى) لم يخبركم بهذا ..

ضيق (توبة) عينيه متذاكيًا وهو يسألنى :

ـ هل تعرف (شوقى) بك ؟!

ـ أعرفه ، أليس ابن أخ المرحوم (فايز أبو اليزيد) ؟!

ـ صحيح ، لكن ..

عاد يتذاكى :

ـ .. كيف اشتريت القصر من المرحوم وقد توفى فى الخارج ؟!

ليس هذا وقت المهاترات واختلاق القصص يا (توبة) ، فيما بعد بالله عليك !

ـ أدخلنى يا (توبة) ، إن جميع الأوراق الرسمية معى فى هذه الحقيبة ..

وكان نبيهًا :

ـ كيف عرفت اسمى أيها النصاب ؟!

أخرجت له الأوراق من جيب الحقيبة ولوحت بها فى وجهه هاتفًا :

ـ هذا عقد شرائى للقصر ، وهذا توقيع صاحبه القديم فى خانة البائع ..

المزيد من التذاكى والحماقة :

ـ لن تدخل حتى يحضر (شوقى) بك شخصيًا ..

عِيلَ صبرى بكل أسف :

ـ إن لم تدخلنى الآن فسأدخل بقوة الشرطة ..

أخافته الكلمة ، لكنه تماسك وتمسك بموقفه :

ـ أعلى ما فى خيلكَ اركبه ..

ـ انتظر يا (توبة) ، أرنى الأوراق من فضلك ..

الحمد لله ، لقد هبط (سرور) من أعلى لا لشىء إلا لينقذنى ..

ـ تفضل ..

ناولته الأوراق عبر الفراغات بين القضبان ، فأخذها ونظر فيها بسرعة :

ـ الأوراق سليمة مائة فى المائة ، تفضل يا أستاذ (ميلاد) ..

ثم هتف بـ (توبة) الواقف كتمثال أصم :

ـ .. المفاتيح يا (توبة) ..

امتثل (توبة) صاغرًا ، وفتح لى البوابة فى تذمر :

ـ أين أنت يا (فايز) باشا لترى من سيحل محلك !

مسكين أنت يا (توبة) ، تظننى ميتًا وأنا أقف أمامك بوجه جديد وجسد جديد لا أكثر ..

دلفت إلى قصرى الذى أوحشنى كثيرًا ، وتأملته فى وجد قبل أن ألتفت إلى (سرور) :

ـ شكرًا يا (سـ ..

قاطعنى قبل أن يزل لسانى بنطق اسمه :

ـ (سرور) يا سيدى .. (سرور زرزور) ..

نظرت إلى زيه الرسمى سائلاً :

ـ أنت السائق هنا ؟!

ـ وهناك أيضًا يا سيدى ..

ضحكت لدعابته ، وأشرت إلى سيارتى (اللنكولن) التى أعرف أنها سيارتى :

ـ وهذه سيارتى ؟! أقصد .. سيارة المرحوم ؟!

أجابنى هازلاً :

ـ أجل ، ألا تشبه حقًا سيارة مرحوم ؟!

لم أضحك ، وإنما علت البسمة وجهى الجديد ، وأنا أمر بأصابعى على السيارة كأنى أعيد التعرف عليها ..

إنها سيارة رجل ميت بالفعل ، تابوت أسود كبير وأنيق ..

فكرت :

أشياء كثيرة لا بد أن تتغير فى عهد (ميلاد فريد) ..

وقررت ..

أشياء كثيرة ..

* * *

ألقيت بكل زجاجات وعلب الأدوية من النافذة إلى الحديقة الخضراء ..

ألقيت بها فى غل ، كأنى أنتقم ..

راقبنى (سرور) فى دهشة ، لكنه ظل صامتًا وهو يرانى أفرغ غرفتى القديمة روحة وجيئة ، مرددًا كأسطوانة مشروخة :

ـ أشياء كثيرة لا بد أن تتغير .. أشياء كثيرة !

ثم أقف هارشًا فى صلعتى ، وأعيد المشى هنا وهناك مكررًا الجملة وضاربًا قبضتى فى راحتى ، ثم أقف وأهرش ، وهكذا دواليك ..

قال أخيرًا وقد ظن فىّ الجنون الأكيد :

ـ اهدأ قليلاً يا سيدى ، وسنغير كل ما تريده ..

أشرت إلى ما حولى :

ـ كل هذا الأثاث لابد أن يتغير ..

ـ أثاث الغرفة ؟!

ـ بل أثاث القصر كله !

نظر إلىّ ليستيقن من جنونى مرة أخرى ، قبل أن أهتف فى تمرد :

ـ .. لا أريد شيئًا قديمًا كلاسيكيًا ، أريد أثاثًا حديثًا ، ما بعد الحديث أيضًا ..

ثم هتفت به بنفس النبرة :

ـ .. وأنت ، اخلع زيك الرسمى هذا .. لا أريد أن أراك به ثانية ..

سألنى مرتابًا :

ـ هل أنا مفصول من قبل أن أعيّن يا سيدى ؟!

لوحت بكفىّ فى وجهه :

ـ كلا ، كلا ، كلا .. ستعمل سائقًا لدى بمرتب مضاعف ، ولكن بملابس كالتى يلبسها بقية الناس ..

أشرق وجهه وهو يهتف :

ـ رائع ، سأكون واحدًا من الناس مرة أخرى إذن ..

ـ والسيارة سأغيرها ..

ـ سيارة المرحوم ؟!

ـ أجل ، سألقيها فى أقرب مقبرة للسيارات وأركب بدلاً منها سيارة رجل حىّ ..

ونظرت إلى السيارة ؛ عبر النافذة المطلة على الحديقة :

ـ .. أشياء كثيرة لابد أن تتغير !

★ ★ ★

صرخة رعب ثم ..

ـ احترس يا سيدى ..

هتف بها (سرور) ثم انكمش فى جلسته بجوارى داخل السيارة التى ابتعتها فى ظهيرة نفس اليوم ، (الفيرارى) الحمراء المنزوعة السقف !

كنت أقود بسرعة هائلة فى أكثر شوارع وسط البلد ازدحامًا ، مستمتعًا بحياتى الجديدة إلى أقصى درجة ، وكدت أصطدم بسيارة فى تقاطع لولا أن ضغط سائقها الفرامل فى قوة ، كنت أنا المخطئ فاحتملت سبابه من خلفى بلا مبالاة ..

لهث (سرور) وهو يستنشق أنفاسه :

ـ .. كدنا نموت !

ضحكت وأنا أنظر إليه بملابسه الجديدة التى ابتعتها له من أفخم المتاجر :

ـ من يتحدث عن الموت هاهنا ؟!

قال وهو يضرب صدره بكفه :

ـ اتركنى أقود ، أتوسل إليك !

قلت وأنا أضغط دواسة الوقود أكثر :

ـ أنا مشتاق للقيادة ، لم أقد سيارة منذ ثلاثين عامًا تقريبًا ..

فوجئت به يسألنى مندهشًا :

ـ أى قبل أن تولد ؟!

صمتَ فى توجس ، ثم انفجرت فى ضحكة مفتعلة قبل أن أسأله :

ـ ألست جائعًا ؟!

ـ أنا دائمًا جائع !

سنتناول الغداء فى أفخم المطاعم ، لكن ..

انعطفت بالسيارة فى شارع جانبى على نحو مفاجئ :

ـ .. أمامى مهمة عاجلة لا بد من إتمامها أولاً ..

.. ليصرخ (سرور) فى رعب من جديد ، ولأضحك أنا فى هستيريا جنونية ..

★ ★ ★

دفعت الباب بقدمى ، وخلفى (سرور) وجيش من الموظفين والموظفات ورجال الأمن ؛ لأرى (شوقى) الوغد جالسًا خلف مكتبى ـ مكتب (فايز أبو اليزيد) ـ مرتديًا ربطة عنق سوداء على سبيل الحداد أو الخداع ، وفى يده قلم يوقع به

الأوراق الممدودة إليه فى ملف تحملـه (هالـة) ؛ سكرتيرة . (فايز) التى تذكره بأحفاده ..

- ما هذا الهرج ؟!

هتف بها الوغد مقطبًا وهو يرانى أدلف إلى حجرة مكتبه دون استئذان ، فيما يحاول بعضهم منعى عبثًا ، خاصة وأن (سرور) كان يقوم بعمله كما يجب ..

- .. من أنت ؟!

يرفع نحوى سن القلم ليشير إلىّ فى عنجهية ، ودون مقدمات أجذبه من ربطة عنقه السوداء لأوقفه ، ثم أجذبه نحوى ، متجاهلاً صيحات الاستهجان من خلفى ، ونظرات الهلع فى عينى (هالة)الكحيلتين ..

اتسعت عينا الوغد خوفًا ، وقربته أنا من وجهى إلى حد الملامسة ؛ لأسأله ضاغطًا على أسنانى فى قوة :

- بأى حق تجلس على هذا المكتب أيها الـ .. وغد ؟!

يهتف لاهثًا :

- إنه مكتب عمى الذى ما ..

أقاطعه قبل الحرف الأخير متأنتًا فى نفى :

- خطأ يا عزيزى ، هذا ليس مكتب عمك ..

وأشير بإبهامى الحر إلى صدرى :

- .. هذا مكتبى أنا !

يتحول صياح الاستهجان إلى همهمات ذهول وهمسات ، ويهتف (شوقى) بى :

- ماذا تقول ؟!

أخرج الأوراق من جيبى وأضعها أمام عينيه الجاحظتين :

- أنظر ، لقد تنازل لى عن كل ممتلكاته بيعًا وشراء بأوراق رسمية قبل أن يموت بعدة شهور ، هل تعرف القراءة ؟!

ينظر إلى السطور ولا يرى شيئًا إلا وجهى ، فيصرخ :

- أنت كاذب .. كاذب ..

هنا جنت على نفسها (براقش) ، ووجدت الفرصة التى أنتظرها لألكمه فى أنفه بكل ما فى نفسى من كراهية لوضاعته وحقارته ..

تراجع إلى الوراء ليصطدم ظهره بالحائط ، وأطلق صيحة ألم قبل أن يعاود هتافه الأرعن :

ـ أنت مزور لئيم .. مدع كاذب !

وجدت (هالة) تتناول الأوراق منى ، وتعبر عيناها على السطور فى سرعة ، لتخفض عينيها نحوه فى النهاية وتقول :

ـ الأوراق سليمة مائة بالمائة يا أستاذ (شوقى) ..

لهث (شوقى) كذئب مهزوم وهو يمسح الدم عن أنفه بكم قميصه ، فيما التفتت (هالة) إلى الجمع الغفير الواقف أمام الباب هاتفة :

ـ .. الأستاذ (ميلاد فريد) هو المالك الجديد لمجموعة (فايز أبو اليزيد) الاقتصادية ..

المزيد من صيحات وهمسات الذهول ، ثم صراخ (شوقى) الذى لم يقو على النهوض بعد :

ـ كاذب .. كاذب .. أخرجوه حالاً .. أين الأمن ؟!

كاد رجلا أمن يدخلان ليمسكانى ، فتحفزت عضلاتى لقتال لم أخض مثله فى حياتى من قبل ، بينما هتفت (هالة) فى صرامة :

ـ أى اعتداء على السيد (ميلاد) سيعد اعتداء على صاحب المؤسسة شخصياً ..

توقف رجلا الأمن على مسافة قريبة منى وقد صدمهما ما قالته ، ليصيح بها (شوقى) :

ـ أيتها الـ ...

وجعلته نظرة قاسية منى يبتلع لسانه ..

هتف أحد الموظفين الذين يسدون الباب فى تردد :

ـ هل أنت واثقة مما تقولين يا (هالة) ؟!

ألقت نحوه بالأوراق قائلة :

ـ تأكد بنفسك !

نظر الموظف فى الأوراق تحلق من حوله الناظرون ، ثم أومئوا برءوسهم دلالة الاقتناع ، ورفعوا عيونهم نحوى فى ترحيب ..

أعرف أن وجودى هاهنا ليس إلا إنقاذًا لهم من وغد زنيم !

أشرتُ إلى (شوقى) المتكوم فى الركن كشىء قبيح :

ـ أخرجوه فورًا ..

اتجه نحو رجلى الأمن وقد انساقا لرأى الأغلبية ، برغم صراخ (شوقى) فيهما :

ـ أيها الغبيان .. أنا صاحب هذا المكان .. أنا الوريث الوحيد لعمى .. سأفصلكما ..

.. إلا أنهما تعاونا على حمله برغم المقاومة ، ولما اتجها به إلى الخارج التفت إلى منذرًا ومتوعدًا :

ـ .. سأريك أيها النصاب ..

هتف به (سرور) وهو يمر بجواره محمولاً :

ـ احذر لئلا تقع !

وانفجر الواقفون بالضحك ، فشاركتهم قبل أن أنظر إلى (هالة) بامتنان ، وأدرك أنها جميلة حقًا ..

ذلك النوع من الجمال الذى لم ألحظه وأنا (فايز أبو اليزيد) الكهل المتداعى ..

الجمال الذى يجعل القلب يخفق ، والعين تختلج ، والروح ترفرف فى سماء أخرى ..

ـ أشكرك يا ..

تبتسم أعذب ابتسامات الكون وهى تقول :

ـ (هالة) .. (هالة بديع) ..

أحلق فى فضاء عينيها الكحيلتين ، أنسى الوقت والمكان ، حتى يوقظنى هتاف (سرور) :

ـ ألم تعدنى بالغداء بعدها ؟!

★ ★ ★

لحوم ، ودجاج ، وأسماك ، وأرز ، وشوربة ، وسلطات ، وكل ما تشتهيه المعدة الجائعة ، وأنا و(سرور) فقط ..

(سرور) الذى هتف مذهولا :

ـ كأنك لم تأكل منذ قرن ..

هذا صحيح نسبيًا يا عزيزى !

قلت وأنا ألتهم ما لذ وطاب ، معوضًا حرمان السنين الطويلة :

ـ ظننته لن يكفى ..

يصيح مذهولاً :

ـ لن يكفى من ؟! إنه طعام قبيلة كاملة لمدة أسبوع !

قلت له وأنا أنقض على فخذ الضأن :

ـ ذكّرنى بأن نأخذ طعامًا لـ (توبة) !

توقف عن الطعام ، ونظر إلى نظرة لن أنساها :

ـ قلبك كبير يا سيد (ميلاد) ، ذكرتنى بالسيد (فايز) رحمه اللّه ..

وجدتها فرصة للهو :

ـ هل كنت تحبه يا (سرور) ؟!

ـ جدًا ..

قالها بصدق ، فشعرت براحة غريبة :

ـ .. لكنه استراح ، فقد عانى كثيرًا فى أيامه الأخيرة ..

لو تعرف الراحة التى أنا فيها الآن يا عزيزى .. لو تعرف ..

ـ أخبرنى يا (سرور) ، هل تعرف (هالة بديع) جيدًا ؟!

ـ السكرتيرة ؟!

ـ أجل ، هل تعرف عنها ما يكفى ؟!

غمزنى :

ـ يكفى لماذا ؟!

ـ هل هى مخطوبة ؟! مرتبطة عاطفيًا ؟!

ـ ذكرتنى بأول أيامى فى الجامعة عندما أحببت عشر فتيات دفعة واحدة !

ـ أتحدث بجدية الآن يا (سرور) ..

ـ لا أعلم عنها الكثير ، لكننى سأعرف لك كل ما تريد معرفته ..

قلت وأنا أجرع من زجاجة المياه الغازية :

ـ يحسن أن تعلم قبل أن نسافر ..

تقف اللقمة فى حلقه ، وبعد دقة فوق الظهر وجرعة ماء :

ـ نسافر .. إلى .. أين ؟!

ـ إجازة فى مكان بعيد ..

ـ إجازة ونحن لم نعمل بعد ؟!

ـ أحتاج لمكان أستعيد فيه نشاطى وحيويتى ..

ـ (القناطر الخيرية) مثلا ؟!

ـ أعنى (هاواى) .. (بانكوك) .. (نيس) .. (مدريد) ..

ـ وأنا سأسافر معك ؟!

ـ أنت من الآن ذراعى الأيمن فى كل شئونى ..

ـ لم أكن أعلم أن قلبك كبير إلى حد التضخم !

ـ (توبة) أيضًا يمكنه أن يأتى معنا ..

ـ سيرفض بالطبع ، إنه لا يستطيع ترك القصر أبدًا ..
أشك أنه سيوصى بأن يدفن فى الحديقة بعد وفاته !

ويسألنى (سرور) فى حرج احترمته :

ـ .. لكن تكلفة ذهابى ستكون عالية يا سيدى ، الأفضل أن أبقى أنا ..

قلت باسمًا وأنا أتجشأ :

ـ النقود هى آخر ما أفكر فيه يا (سرور) ، لدى الكثير منها ولن أتركها لأحد بعد وفاتى ..

أعرف رجلاً ظل طوال عمره يجنى النقود ومات دون أن يمتّع نفسه ، فماذا ربح ؟!

وابتسمت للخاطر ..

أنا الآن أسعد مخلوق على وجه الأرض ..

★ ★ ★

صراخ رهيب ..

طلقات رصاص ..

قدمان تركضان فوق إسفلت لامع ..

نفير سيارة شرطة وصوت احتكاك الكوابح ..

صراخ ..

دماء ..

وجه نحيل بلحية دائرية ..

ـ قف مكانك !

وجه آخر مكتنز بندبة على الجبهة من أثر جرح قديم ، والعينان تختفيان خلف نظارة شمس معتمة ..

ـ اهرب !

امرأة شقراء تكسو المساحيق وجهها ذا الملامح الملتاعة ..

ـ أين ستذهب ؟!

جثة تسقط فوق الأرض ..

أصداء ..

صراخ ..

دماء ..

ثم ..

* * *

ـ لا !

ـ ما بك يا سيد (ميلاد) ؟!

(سرور) جالس بجوارى على مقعد الطائرة الآتية من (نابولى) ، بعد أسبوع من الاستجمام والمرح والـ ...

(سرور) يسألنى فى قلق ، وأنا ألهث وأشعر بقطرات العرق تنداح فوق وجهى ..

انظر من نافذة الطائرة إلى أكوام السحاب بالأسفل ..

ولا أرد ..

أنا لا أعرف ما بى ..

لكنى لست بخير ..

لست بخير أبدًا !

* * *

٥

صراخ ..

دماء ..

وجوه تتعذَّب ..

ـ الرحمة !

أشباح جاثية فى استجداء ..

ـ اتركنى أعيش ..

دائرة كالتى تراها فى مناظير بندقيات القنص ، مصوبة نحو رجل يهبط من سيارة ..

ـ إياك أن ترتجف ، الرجفة تعنى أنك لن تصيب الهدف ..

الدائرة تغرق فى الدم اللزج ..

الوجه النحيل ذو اللحية الدائرية غاضب حتى الاحمرار ..

ـ سأنال منك !

الوجه المكتنز ذو الندبة والنظارة المعتمة ..

ـ مهمة جديدة ..

الشقراء الملتاعة ..

ـ لنَهرب معًا بعيدًا ..

ووجه شبحى الملامح ، لا يظهر منه إلا الشعر الأبيض الطويل والسيجار الثخين ..

ـ لا تتأخر ..

ثم صراخ ودماء ونفير وشرطة وكوابح ورصاص واصطدام ..

ونظرة فزع أخيرة ..

قبل أن ..

* * *

حرارة الصيف خانقة ، والرطوبة لا تطاق ..

ـ أوهام ، هذه محض أوهام ..

قالها الدكتور (أمجد) وهو يطوح ذراعه إلى الخلف ، بينما تنشقت أنا وقلت محاولاً السيطرة على اضطرابى العارم :

- لكنها أحلام تتكرر باستمرار مريب يا دكتور .. كوابيس تحرمنى من النوم المريح !

كنا فى مكتبه الذى مازال تحت التجهيز ، تمهيدًا لافتتاحه قريبًا كفرع إقليمى لمؤسسة (حياة جديدة) ، لذا فلم يكن المكان يسمح بالهدوء أو الاسترخاء ..

- عقلك الباطن هو الذى يصنع هذا الهراء ..

قالها فى ازدراء كأنه يسبنى ، واستغربت أنا وقع الكلمة على أذنى :

- عقلى الباطن ؟!

- أجل ، عقلك الباطن الذى هو جزء من هويتك ، هويتك التى هى جزء من مخك ، مخك الذى قمنا بنقله إلى هذا الجسد الجديد الماثل أمامى فى صحة وعافية يحسد عليهما !

قال كل هذا فى نفاد صبر بين ، فترددت هنيهة قبل أن أقول :

- لكن الحلم يتكرر بنفس التفاصيل .. نفس الوجوه والأصوات و ...

ضرب سطح مكتبه بقبضته ، وهو يهتف بى زاجرًا :

- لا تستسلم لألاعيب عقلك الباطن هذه وإلا أدت بك إلى جنون محقق ..

أخافتنى مقولته :

- جنون ؟!

هز رأسه بالإيجاب :

- أنت فقط لم تعتد على وضعك الجديد برغم مرور كل هذه الأشهر ، هناك مرحلة عدم انسجام مؤقت بين روحك وجسمك ، اضطرابات عارضة أنت وحدك من تملك قهرها ..

سألته متلهفًا :

- وكيف ذلك يا دكتور ؟!

أجابنى ، وقد أراحته لهفتى على ما يبدو :

- ببعض الإرادة والرغبة فى ذلك .. عش حياتك ، انغمس فى نشاطات جمة ، مارس الرياضة ، تناول الأطعمة التى تحبها ، سافر بعيدًا ..

قلت واجمًا :

- فعلت كل هذا ..

واصل :

ـ .. أحب ، تزوج ، وأنجب أولادًا أيضًا !

صدمتنى الفكرة :

ـ أنجب أولادًا ؟!

هز كتفيه ليقول فى بساطة جمة :

ـ أجل ، لقد حرمت من الأولاد فى حياتك السابقة ، ومن حقك أن تنجب أولادًا فى حياتك الجديدة !

ترددت أنفاسى فى اضطراب :

ـ أولادى ..

واضطربت أنفاسى فى تردد :

ـ .. أم أولاده ؟!!!

★ ★ ★

موسيقى ناعمة ، وشمعة فى منتصف الطاولة ، وعشاء رومانسى فى مطعم من الدرجة الأولى ، حيث أجلس أنا فى

حلة (سموكن) على طرف الطاولة ، بينما تجلس (هالة) تحيطها هالة من النور فى ثوبها البسيط على الطرف الآخر ..

ـ لم أكن أحلم بأن أدخل هذا المكان من قبل ..

قالتها بلا خجل ، وقد بدت فى بساطتها أكثر رقيًا من المكان وروّاده اللامعين ..

ـ وأنا لم أكن أحلم بأن أدعو إنسانة استثنائية مثلك على العشاء ..

ابتسمت فى خجل ، وقالت :

ـ مجاملة رقيقة ..

قلت فى صدق :

ـ ليست مجاملة ، إنها الحقيقة ..

قالت ووجنتاها تتخضبان بحمرة جميلة :

ـ أنا التى لم أحلم بأن أكون موضع اهتمام شخص مثلك ..

سألتها بتلقائية شديدة ، ولهفة أشد :

ـ وهل تعرفينني حقًا يا (هالة) ؟!

نظرت نحوى ، وقالت :

ـ أظن أنى أعرفك ..

كدت أنهار وأطلب منها أن تتزوجنى على الفور ، عندما تصاعد نغم الساكسفون فجأة بلحن أغنية (جورج مايكل) الشهيرة (همسة لامبالية) ، فوجدت نفسى أدعوها :

ـ ترقصين ؟!

أجابت دعوتى ببسمة ساحرة ، ونهضت معى إلى حلبة الرقص ، لأرقص كما لم أرقص فى حياتى من قبل ..

« .. لن أرقص ثانية ..

الأقدام المذنبة لا إيقاع لها ..

برغم أنه من السهل أن أتظاهر ..

لكنى أعلم ، أن هذا لن يخدعك ! »

* * *

ـ (سرور) .. هل مازلت مستيقظًا ؟!

لا أنام وحدى فى الغرفة على الإطلاق هذه الأيام ، ربما خوفًا من الكوابيس المتكررة ، وربما ألتمس فى نوم (سرور) معى على الأريكة الجديدة بعض المؤانسة ..

ـ تقريبًا !

من موقعى على السرير المريح أسأله :

ـ ما رأيك فى (هالة) ؟!

ـ كنت أعرف أنك ستحدثنى عنها ..

وسمعت صوت تقلبه على الأريكة :

ـ .. من واقع سؤالى عنها فهى فتاة ممتازة ..

ـ قل لى بصراحة : هل تظن أنها تحبنى ؟!

خلط الجد بالهزل كعادته :

ـ هذا ما نسيت أن أسأل عنه بشأنها !

كنت قد شردت وأنا أواصل السؤال :

ـ أم تحبه هو ؟!

أتانى صوته المتعجب :

ـ هو من ؟!

شارداً تابعت :

ـ السؤال المحير أكثر هو : من منا الذى يحبها ؟!

وتابعت فى عقلى : (فايز أبو اليزيد) ؟! أم (ميلاد فريد) ؟!

سألنى (سرور) وقد حيرته كلماتى :

ـ هل أنت على ما يرام ، سيد (ميلاد) ؟!

أجبته بتردد أنفاسى المنتظمة وكأنى ذهبت فى النوم ، فسمعته يتقلب على الأريكة ويغمغم لنفسه :

ـ نعم ، أعتقد أنك فى حاجة ماسة للنوم بالفعل !

النوم ؟!

أى نوم يا (سرور) و(هالة) تقض على مضجعى من ناحية ؟! والكوابيس إياها من ناحية أخرى ؟!

وكأنه مكتوب على جبينى ألا أنعم بالراحة أبداً سواء فى حياتى القديمة ..

أو الجديدة !

★ ★ ★

قالت (هالة) بعد أن فرغتْ من توقيع البريد الصباحى :

ـ هناك ضيفة فى الخارج !

رفعت إليها عينين منهكتين من قلة النوم :

ـ من ؟!

ـ تقول إنها صحفية !

عقدت حاجبى فى استغراب :

ـ صحفية ؟! ماذا تريد ؟!

هزت (هالة) كتفيها وهى تقول :

ـ لا أدرى .. لكنها تحاول أخذ موعد منذ مدة طويلة ، وتصر اليوم ألا تغادر المبنى قبل أن تقابلك ولو لخمس دقائق !

كأنه ينقصنى المزيد من الصداع !

ـ حاولى صرفها بأى وسيلة ..

ـ حاولت دون جدوى ، سأدخلها واصرفها أنت بمعرفتك ..

تنهدتُ ، واستسلمت لما تقول ، لأجد أمامى بعد قليل امرأة جميلة ، رقيقة ، مهذبة ، ترتدى ملابس محتشمة ، وتجلس أمامى مخرجة من حقيبتها جهاز تسجيل صغيرًا وآلة تصوير ..

ـ صباح الخير يا سيدى .. (أمنية صلاح) من جريدة ..

لم أكن مستعدًا للتبسط معها ، أو للتظاهر باللياقة واللباقة :

ـ ماذا يمكننى أن أقدم لك يا سيدتى ؟!

ـ قهوة زيادة !

تبًا ، لقد فهمت جملتى على نحو خاطئ تمامًا ، يجعلنى مضطرًا لإجابة طلبها ..

ـ بماذا يمكننى أن أخدمك يا سيدتى ؟!

هذه صيغة أفضل لا يمكن فهمها على نحو خاطئ !

ـ أنا أبحث عن الحقيقة يا سيدى ..

ـ أى حقيقة ؟!

قالت (أمنية) دون التفاف أو مناورة :

ـ حقيقة ما يحدث فى إمبراطورية (أبو اليزيد) التى انقلبت إلى إمبرطورية (ميلاد فريد) فجأة بين عشية وضحاها ..

قلت وأنا أقاوم الصداع الذى تسلل فى سرعة وكفاءة إلى رأسى :

ـ لقد ذهب (فايز أبو اليزيد) تاركًا لى كل شىء !

سألتنى دون التفاف أو مناورة :

ـ لماذا ؟!

ـ لماذا ماذا ؟!

ـ لماذا أنت بالذات ؟! المفترض أن هناك وريثًا شرعيًا له هو ابن أخيه (شوقى أبو اليزيد) الذى يرفع عليك الآن عددًا من قضايا نصب وتزوير فى أكثر من محكمة ..

هتفتُ وأنا أقاوم الصداع :

ـ ليفعل ما شاء ، أوراقى سليمة تمامًا ..

واصلت (أمنية) هجومها الكاسح علىّ :

ـ السؤال هو : من أنت يا سيد (ميلاد) ؟! وما علاقتك بالمالك السابق للمجموعة (فايز أبو اليزيد) ؟! هل اشتريت منه ممتلكاته كلها ؟! أم تنازل لك عنها دون مقابل ؟! وإن كنت قد اشتريتها فأين ذهبت النقود التى دفعتها له ؟!

كلا ، ما عاد هذا محتملا ..

ـ .. أين (فايز أبو اليزيد) أصلا الآن ؟! مات ؟! أين جثته ولِمَ لمْ يشيع جثمانه كأى فقيد عادى ؟! حى ؟! أين هو إذن ؟!

هتفت بها ورأسى يكاد يتفتت تحت وطأة الضغط المتواصل :

ـ لا أجوبة لدى ..

قالت دون أن تأخذها بى شفقة :

ـ هذه ليست أسئلتى وحدى ، إنها أسئلة الشارع الذى فوجئ بكل ما يحدث ..

أشرت نحو الباب وأنا أمسك رأسى بيدى الثانية :

ـ يمكنك الانصراف ..

رفعت آلة التصوير نحوى قائلة :

ـ صورة واحدة إذن تشفى غليل القراء لرؤية الرجل الذى ..

صحت فى فزع ، وأنا أضع راحتى أمام العدسة المشهرة نحوى :

ـ كلا ، لا صور !

بهتت (أمنية) وسألتنى :

ـ لماذا ؟!

لهثت وأنا أقول :

ـ لست من هواة الظهور ..

عقدت حاجبيها المزججين فى عناية وهى تسأل :

ـ ما الذى تخفيه وراء ظهرك ، سيد (ميلاد) ؟!

ـ لا شىء ..

ثم ضغطتُ زر الدكتافون :

- (هالة) ، تعالى واصحبى السيدة (أمنية) إلى الخارج من فضلك ..

ظلت (أمنية) ترمقنى بنظرات نارية حتى اصطحبتها (هالة) كما أمرتها ، وانغلق الباب على لأغرق فى دوامات الصداع العنيف ..

هناك خطأ ما ..

شىء لا أفهمه ..

شىء أحسه ولا أستطيع التعبير عنه ..

ربما لو أننى نمت قليلاً ، ربما أستطيع التفكير بعدها بهدوء أكثر ..

ضغطت زر الدكتافون من جديد :

- انصرفت الصحفية المزعجة ؟!

صوت (هالة) :

- أجل ، وكانت حانقة للغاية ..

قلت متحاملا على ألمى الممض :

- اجعلى (سرور) يأتى بالسيارة ليلتقطنى من أمام باب المؤسسة ..

صوت (هالة) مفعم بالقلق :

- هل أنت على ما يرام ؟!

- بعض الصداع فقط ، قليل من النوم وسأكون على ما يرام ..

هبطت بعدها لأجد (سرور) جالسًا أمام عجلة قيادة (الفيرارى) المكشوفة ، فقفزت دون أن أفتح باب السيارة إلى جواره ، وانطلقنا دون أن أنتبه تمامًا للكاميرا اللعينة التى تلتقط عدستها صورًا كثيرة لى من بعيد ..

الصور التى سوف تفتح علىّ أبواب جهنم ..

الحمراء ..

* * *

٦

الدم .. الرعب .. الرصاص .. الصرخات ..

الليل والتصادم ..

والوجوه نفسها !

★ ★ ★

ألقى الدكتور (أمجد) بنسخة الجريدة الأسبوعية ، التى تحتل صفحتها الأولى صورتى وأنا أقفز داخل (الفيرارى) الحمراء ، مع مانشيت أحمر مثير (قفزة الرجل الغامض !) ، على سطح مكتبه وهو يهتف فى ثورة :

ـ كارثة ، ظهورك بهذا الشكل يعرض الأمر كله للفشل الذريع ..

كنت أجاهد للتماسك ، عيناى تحيطهما هالتان من السواد ، تغزوهما عروق الاحتقان ، ويداى ترتجفان كأنهما يدا المرحوم (فايز أبو اليزيد) ..

قلت ضاغطًا على ألمى :

ـ لم يكن من المعقول أن أختفى للأبد !

زعق كالمصاب بمس من الجنون :

ـ الاتفاق كان على الظهور فى أضيق الحدود ، بين معارفك وموظفيك وأتباعك .. لم نتفق على أن تسعى للشهرة فوق صفحات الجرائد الأولى ..

ضغطتُ على أعصابى أكثر وأكثر :

ـ لم أسع لشىء ، إنها الصحفية التى ..

قاطعنى وهو يقرأ اسمها :

ـ نعم ، (أمنية صلاح) .. صحفية مشاغبة لا تكف عن إثارة القلاقل ..

ثم إنه نظر نحوى مردفًا فى حسم :

ـ .. أقترح أن تختفى لفترة حتى يتم نسيان الأمر ، أو نجد حلاً لهذه المصيبة التى لم تكن فى الحسبان ..

التهكم ممتع عندما يمتزج بالصداع القاتل :

ـ هل أرتدى (طاقية الإخفاء) أم ماذا ؟!

ـ سافر بعيدًا ، إلى القطب الشمالى إن استطعت ، ولا تعد إلا عندما أتصل بك ..

وددت لو مانعته ، لكنه كان يتحدث بجدية صارمة ألجمت لسانى ، بالإضافة إلى هذا الصداع اللعين ، القاتل !

★ ★ ★

ابتلعت ثلاثًا من أقراص تسكين الألم ، ثم نظرت إلى صورتى المنعكسة فى مرآة سطح المكتب الصغيرة ..

ترى ، هل أصبحت كارهًا لوجهى الجديد فجأة ، بكل ما يحمله من شباب وغموض وإرهاق وأرق وصراع داخلى وشامة على الخد الأيسر ؟! أم أن وجه (فايز) - وجهى - قد أوحشنى ؟!

نظرت إلى تذكرتى سفرنا - أنا و(سرور) - إلى (النرويج) ، أقرب بلاد (أوروبا) إلى القطب الشمالى ، وتنهدت منكسًا رأسى فوق ساعدى المفرودين على سطح المكتب ..

أتمنى أن أسقط نائمًا لولا أن الكوابيس تطاردنى بشكل ملحَ هذه الأيام ، ولا أغفو قليلاً مغلقًا عينى إلا وهاجمتنى بضراوة ؛ نفس الأشكال والأصوات والروائح والتفاصيل كأنه فيلم مكرر أحفظ مشاهده وأبطاله ، وإن كنت أجهل عنوانه ولا أفهم مضمونه ..

بلغت كوابيسى من السوء حدًا أنها أصبحت تطاردنى حتى

وأنا مستيقظ فى هيئة أحلام يقظة ، و(أمجد هيكل) اللعين لا يهمه شىء قدر ظهورى على الصفحة الأولى ، ومازال يعزو كل ما أكابده إلى عدم انسجام (مؤقت) بين جسدى وهويتى ..

أفتقدك بشدة يا (فايز) ، يا وجهى القديم !

صوت (هالة) عبر الدكتافون :

- ضيف يريد مقابلتك ، سيد (ميلاد) ..

ضغطت زر التحديث لأقول فى صعوبة :

- لن أقابل أحدًا ..

- يقول إنه ضابط شرطة !

استنكار :

- ضابط ؟!

تأكيد :

- أجل ..

ثم كأنها تنظر فى بطاقة وتقرأ منها :

- .. المقدم (عادل حسين) ، أمن دولة !

عاد الصداع يلتهم خلايا مخى الرمادية برغم المسكنات ، ووجدت نفسى أقول لها :

ـ أدخليه ..

بعد هنيهة انفتح الباب ، ودخل رجل يرتدى ملابس مدنية صيفية خفيفة ، وتعلو شفتيه ابتسامة لها ألف معنى لا أقل :

ـ مساء الخير ، سيد (ميلاد) ..

شهقتُ فى فزع وأنا أتراجع فى مقعدى كالملدوغ ، بينما الباب ينغلق من خلفه ..

ـ .. ما الأمر ؟!

إنه هو ، الوجه النحيل ذو اللحية الدائرية يسألنى :

ـ .. هل أفزعتك رؤيتى لهذه الدرجة ؟!

أحد الوجوه التى تطاردنى فى أحلامى الكابوسية ، أو كوابيس أحلامى !

رفعت نحوه سبابتى ، وأنا عاجز عن النطق :

ـ أنت .. أنت ..

يقف ثابتًا فى منتصف الحجرة ، يرمقنى بعينين حاقدتين ،

جمرتين من اللهب فى مهب ريح عاتية ، وهو يغمغم فى غل :

ـ أجل ، إنه أنا .. غريمك اللدود يا (ماركو) ..

أردد مبهوتًا ، عاجزًا حتى عن تحريك أناملى فوق زجاج المكتب :

ـ (ماركو) ؟!

أصداء الحلم البعيدة :

ـ قف مكانك !

ونفير شرطة .. طلقات رصاص .. دماء ..

ثم الغمغمة الحانقة التى يتطاير منها الشرر :

ـ ظننت لوهلة أنك لن تظهر ثانية بعد كل هذه الشهور ، لكنى كنت واهمًا .. (ماركو) مازال قطًا وغدًا بسبعة أرواح !

أغمغم فى عجز :

ـ من (ماركو) ؟!

ضحكة عصبية ، ثم هتاف وحشى :

ـ من الذى تحاول خداعه يا عزيزى ؟! أعتقد أن لديك من الذكاء ما يتيح لك التحدث معى على أرضية من الصراحة والوضوح .. لقد لعبتها باحتراف يا (ماركو) ، اختبأت شهورًا فى الظل حتى ظننا أنك لقيت مصرعك ، أو أنك آثرت العزلة ، وها أنتذا تعاود الظهور محتميًا خلف اسم جديد وثروة هائلة ، يجعلانك غير قابل للمس .. تخطيط جهنمى يستحق التحية والتصفيق ..

صفق رجل الشرطة ، بينما تحجرت مقلتاى وقد شق الصداع رأسى كبلطة حادة ..

ـ .. لكن الأيام ما زالت بيننا يا (ماركو) ..

تهديد ووعيد فى مواجهة صمت وذهول :

ـ .. لن أتركك ترفل فى هذا النعيم ، سأقضى ما تبقى من عمرى لأطاردك ، وأجعلك تدفع ثمن كل ما اقترفت فى حياتك مسبقًا ..

حياتى مسبقًا ؟!

حياة من ؟!

أنا ؟! أم هو ؟!

ـ أنا لست ..

باءت محاولتى المستحيلة بالفشل الأكيد :

ـ رصاصتى القادمة فى ظهرك سوف تكون القاتلة .. تأكد من هذا !

يتداخل الحلم فى الواقع ، ويمتزج الوهم بالحقيقة :

ـ .. سأنال منك !

ثم غادر الغرفة ، تاركًا إياى فى سكون كالموت ..

رصاصته القادمة فى ظهرى ؟!

خلعت قميصى ، ونظرت فى مرآة الحمام الصغير الملحق بالمكتب إلى ظهرى ؛ لأجد ندبة واضحة على اليسار ، تقرب من سلسلة الظهر بشدة ..

جرح ناجم عن طلقة رصاص !

نظرت إلى صورتى ـ صورته ـ المنعكسة فى مرآة الحمام ، وغمغمت أسأل نفسى ، أو أسأله :

ـ من أنت أيها الرجل ؟!

قلبى يخفق ، وبراكينى حمم تثور :

ـ .. من أنت ؟!

* * *

ـ ليس من حقك أن تعلم !

هتف بها الدكتور (أمجد) فى وجهى ، فقلت وأنا أحافظ على قامتى منتصبة بجهد جهيد :

ـ إننى أدفع ثمن أخطاء ماضيه التى لا أعلم عنها شيئاً ..

ثم أردفت ورأسى يكاد يسقط من على رقبتى :

ـ .. إن ماضيه يطاردنى !

عاود الهتاف بى :

ـ لاتتحدث عنه بصيغة الغائب ، إنكما شخص واحد الآن .. وأنت المتحكم فيه لا العكس ..

صحت كأننى ثمل :

ـ يجب أن تخبرنى ما تعرفه عنه ..

رفع أوراقه فى وجهى :

ـ انظر إلى الاتفاقية التى وقعت عليها معنا ، وسترى أنها تتضمن بند الحفاظ على سرية المصدر ، أى إخفائه حتى عنك أنت نفسك !

كدت أمسك بالأوراق وأمزقها :

ـ تبًا لأوراقك هذه ..

أبعدها عنى بحركة خاطفة :

ـ أنت المخطئ ، لو لم تظهر بهذه الطريقة لما تعرفك أحد من الماضى !

غمغمت شاعرًا بنحلة فى رأسى تدور :

ـ اليوم أتى إلى مكتبى رجل شرطة أراه فى كوابيسى ، وقال إن اسمى .. أعنى اسمه القديم (ماركو) ، وأنه أصابنى من قبل برصاصة فى كتفى ..

ثم خلعت قميصى أمامه بسرعة :

ـ .. انظر ، هذا أثر الرصاصة ..

نظر الدكتور (أمجد) إلى مكان الجرح ، ولم يفاجأ :

ـ ليس من حقى أن أخبرك بشىء ..

صرخت وأنا ألتفت إليه :

ـ تبًا لك ..

ـ سافر يا (ميلاد) ، استقل أول طائرة متجهة إلى أى مكان فى العالم ..

قالها وأنفاسه تتلعثم :

ـ .. سافر ، ولا تعد أبدًا ..

والتقت عينانا فى نظرة طويلة ، طويلة ، طويلة ..

★ ★ ★

هبطت إلى أسفل البناية التى أزوره فيها وأنا لا أكاد أرى أمامى ، وعندما قفزت إلى داخل سيارتى (الفيرارى) ، ومددت يدى بالمفتاح خلف عجلة القيادة :

ـ كيف حالك يا (ماركو) ؟!

نظرت إلى المقعد المجاور لى وأنا أشهق ، واتسعت عيناى حتى كادتا تنفجران ..

كيف لم أر هذا الجالس بجوارى ؟!

أهو الصداع أم ظلام الليل ؟!

وكيف يمكن أن يكون الجالس بجوارى هو نفسه صاحب الوجه المكتنز ، بالندبة على جبهته من أثر جرح قديم ، وبالعينين اللتين تختفيان خلف نظارة شمس معتمة برغم الليل المدلهم ، والذى أراه فى كوابيسى اللعينة ؟!

كيف ؟!

★ ★ ★

٧

ـ مهمة جديدة ..

ـ اهرب !

★ ★ ★

صرختُ وقد استبد بى الفزع المؤلم :

ـ من تكون ؟!

مد يده إلى المفتاح المتدلى فى ثقبه خلف عجلة القيادة ، وأداره قائلاً فى هدوء :

ـ انطلق يا (ماركو) ؛ لنستعد بعض الأيام الخوالى ..

دار المحرك ، وبيدين مرتعشتين أمسكت بالمقود ، وبقدم تسرى فيها نفس الرعشة ضغطت الدواسة ، فانطلقت بنا السيارة فى هدوء ..

أريد أن أفهم كل شىء ، أن أفهم ما يجرى لى فى حياتى الجديدة التعسة ، من جراء ما ارتكبه هذا الوغد الذى أحتلّ بمخى جسده !

ملأ الجالس بجوارى رئتيه بالهـواء ، ثم نفثه فى بطء وهو يقول :

ـ ظهرتَ أخيرًا ..

واختلس ضحكة ساخرة متابعًا :

ـ .. ظهور إعلامى يليق بنجم ، كما عودتنا دائمًا !

ـ من أنتم ؟! أنت تتحدث بصيغة الجمع ..

قلتها بشفاه متلعثمة ، فانعقد حاجباه الغليظان أسفل ندبـة جبهته ، وهو يقول :

ـ كأنك لا تعرفنى حقًّا يا (ماركو) ..

هتفتُ فى انفعال صادق :

ـ أنا لا أعرف حتى من يكون (ماركو) هذا !

انعقد حاجباه أكثر ، وغرقت ملامحه فى السواد الذى يرتديه فوق ملابسه وأمام عينيه :

ـ فقدتَ الذاكرة فى مهمتك ؟!

قلتُ وقد أمدنى بحل مناسب :

ـ شىء من هذا القبيل ..

ـ توقعت هذا ، برغم كونها دراما تليق بالأفلام السينمائية لا أرض الواقع !

سألته وأنا أحاول استجماع أفكارى المشتتة :

ـ هل تعرفنى منذ زمن بعيد ؟!

هز رأسه بالإيجاب :

ـ منذ سنين طويلة ، المفترض أن أكون صديقك (ديمون) !

سألته مستغربًا وقع اسمه على مسمعى ، بنفس استغرابى لوقع اسمى المفترض ؛ (ماركو) :

ـ من أين نحن ؟!

قال :

ـ أسماء غريبة .. هه ؟! إنها أسماؤنا الحركية التى لا نعرف إلا بها !

ـ هل يضمنا تشكيل عصابى معين ؟!

ـ تخمين جيد ..

وأوضح (ديمون) :

ـ .. المفترض أننا نعمل تحت إمـرة (ألفا) ، وقد بحث

عنك طوال شهور اختفائك بشراسة ، أظنه الآن يسعى بكل قدراته لأن يستعيدك بعد أن ظهرت ثانية ..

سألته وأنا أعبر بالسيارة شوارع الليل الخالية :

ـ ما هو نشاطنا ؟! سرقة ؟! مخدرات ؟! نصب ؟!

قال على الفور ، وبمنتهى المباشرة :

ـ قتل !

ضغطت الكوابح على الرغم منى فتوقفت السيارة فى منتصف الشارع الرئيسى الخالى ، ملنا إلى الأمام بفعل القصور الذاتى قبل أن يستعيد هو هدوءه ، وقبل أن أسأله أنا صارخًا :

ـ ماذا ؟!

قال بنفس هدوئه البسيط :

ـ المفترض أنك أفضل القتلة المحترفين فى تشكيل (ألفا) ، وبرغم كونى أحتل مرتبة متأخرة لكننا كنا ـ وأعتقد أننا لانزال ـ صديقين حميمين !

(أمجد هيكل) أيها الوغد الجبان الـ ...

تمنحنى حياة جديدة فى جسد قاتل محترف ؟!

أفضل القتلة المحترفين برصاصة فى الظهر وماض أسود بغيض ؟!

تابع (ديمون) ، بينما أتابع أنا ذهولى العارم على زجاج نظارته المعتم :

ـ .. لقد خضنا معًا مهمات كثيرة ، وقمنا بتصفية الكثيرين دون أن ننكشف أو نترك خلفنا دليلاً ، برغم استماتة بعض رجال أمن الدولة خلفنا ، مثل (عادل حسين) الذى قتلتَ أنت أحد أقربائه ، ووقف هو عاجزًا عن فعل أى شىء !

تبًا لى ، أقصد له !

ـ .. لكنك اختفيت دون أن تنفذ مهمتك الأخيرة ، برغم أنك تقاضيت أجرك عنها مقدمًا ، وهى مرتبة لا ينالها إلا من وصل إلى مثل احترافيتك !

تبًا لى وله ولك ولـ (أمجد هيكل) الـ ...

ـ .. يبدو أن أنباء كانت قد تسربت للأمن عنها ، لذا فقد طاردوك حتى فقدوا أثرك ، ومن يومها لم تظهر ثانية ، ولم نعرف مكان النقود التى قبضتها ، وهو ما أثار (ألفا) حتى الغضب كما تتوقع بالطبع ، ولعمرى فإن غضبته سيئة ، سيئة للغاية ..

غمغمت وأنا عاجز عن التصديق :

ـ أنا قاتل محترف ؟!

غمغم (ديمون) بأسف :

ـ كنت أنا من جلب لك تفاصيل المهمة الجديدة بكل أسف ، وحملت إليك حقيبة النقود ، لم أتوقع أن تكون المهمة بهذه الصعوبة ، فالتخلص من كهل مثل (فايز أبو اليزيد) لم يكن ..

صراخ ملتهب :

ـ من ؟!

ولم أع إلا وأصابعى القوية تقبض على تلابيبه السوداء ، وبرغم هذا فقط احتفظ (ديمون) بهدوئه حتى النهاية وهو يقول :

ـ أنت لا تذكر شيئًا بالطبع ، مهمتك كانت التخلص من (فايز أبو اليزيد) الملياردير العجوز الذى بلغ من العمر أرذله !

صحت فيه كسيلٍ هادر :

ـ لماذا ؟!

أجابنى بهدوئه المستفز :

ـ لأن هذه وظيفتنا ، أن نقتل ونقبض الثمن .. وابن شقيقه (شوقى) كان مستعدًا لدفع الكثير مقابل أن يذهب العجوز ، أن يموت ولو مقتولاً !

أفلتت أصابعى ملابسه ، وانهرت فوق مقعدى لا أرى لا أسمع لا أتكلم ..

يواصل (ديمون) :

ـ .. لقد اتفق (شوقى أبو اليزيد) مع (ألفا) على التخلص من عمه برصاصة قناص بعيدة ، عملية نظيفة بعيدة عنه تمامًا لكى يرث المليارات ، وقد دفع إلى (ألفا) مبلغًا محترمًا ، واختارك (ألفا) لتنفذ هذه المهمة لكفاءتك التى تبهرنا جميعًا .. لكنك بعد أن تسلمت أجرك الضخم اختفيت ولم تعد ، دون أن تتخلص من الكهل الذى فوجئنا به يختفى ، وبك تحتل مكانه وترث ثروته .. بالله عليك كيف فعلتها يا (ماركو) ؟!

سخرية مريرة ، ومرارة ساخرة !

أنا (فايز أبو اليزيد) ، أحتل بمخى جسد من كان يريد قتلى ..

ماذا يمكن أن أجابه أكثر من هذا حتى أنهار ؟!

وفجأة .. دون مقدمات ، تجلت الرؤيا أمامى فى ومضات سريعة ..

(ديمون) يناول (ماركو) الحقيبة : (مهمة جديدة) ..

(ماركو) يصوب البندقية من فوق سطح بناية مواجهة لمبنى مؤسسة (أبو اليزيد) ، إلى الكهل الذى يهبط من سيارته (اللنكولن) السوداء ..

دائرة التصويب ..

نفير سيارات الشرطة ، وكوابح تحتك بالإطارات ..

هتاف من الخلف ..

ـ قف مكانك !

النحيل ذو اللحية الدائرية يصوب مسدسًا ، و(ماركو) يقفز فوق سور السطح ..

تدوى الرصاصات ..

صراخ ..

رصاصة تخترق ظهر (ماركو) وهو يطير فى الهواء ..

دماء ..

يهبط (ماركو) فوق الأرض ويركض بقدميه على الأسفلت ..

(عادل حسين) يتابعه من فوق السطح :

ـ سأنال منك !

(ماركو) يركض نحو حافة النهر ويقفز ، يغوص فى الماء ويغوص ..

دماء وماء ..

ثم تطفو الجثة فوق السطح ..

فى ثلاجة المشرحة (أمجد هيكل) يمر فى زيارة سرية غير شرعية ..

يشير إلى جثة (ماركو) الميت ..

قطع ، نهاية !

يواصل (ديمون) :

ـ .. يبدو أنك قد نجحت فى التخلص من الكهل ، واحتلال مكانه ومكانته وثروته ومنزله ، هذه هى النقطة الغريبة فى الأمر ، لكنى أثق بأنك لا تتذكر أى شىء من كل هذا !

صامتًا ألهث ..

ـ .. ستعود معى الآن إلى (ألفا) ؛ ليرى بنفسه أنك لست على ما يرام ، وأنك فقدت الذاكرة ، وسيعرف هو كيف يتصرف !

بكل عنف أميل بجذعى وأفتح الباب ..

ـ اهبط ..

أدفعه للهبوط بذراعى وأنا أصيح فاقدًا العقل :

ـ .. اهبط من سيارتى على الفور ..

يطاوع ذراعىَّ القويين ، ويقف فى منتصف الشارع بجوار السيارة واضعًا يديه فى جيوب سرواله الواسع :

ـ لكنك هكذا يا (ماركو) تضع نفسك فى ..

أصيح فيه وأنا أغلق الباب بعنف :

ـ لست صديقك اللعين ..

وأصيح وأنا أدير المحرك :

ـ .. أخبرهم أننى مت ..

وأنطلق وأنا أصيح :

ـ .. أنا رجل ميت الآن ..

أراقبه فى مرآة السيارة يبتعد ناظرًا إلى فى ثبات ..

نعم ، هذا حقيقى ..

ما أنا إلا رجل ميت ..

بالأحرى ، رجلان ميتان فى جسد حى !

★ ★ ★

هتف الدكتور الوغد (أمجد هيكل) :

ـ هذا مستحيل .. مستحيل تمامًا !

ـ سأقولها لآخر مرة ..

وجذبته من ياقتى قميصه فى عنف ، مقربًا وجهى من وجهه لأقول فى حسم واضح :

ـ .. أريد جسدى القديم .. جسد (فايز أبو اليزيد) ..

شعرت بارتعاشته ، وطفح الخوف من لهجته التى لانت فجأة :

ـ ما أحاول قوله يا سيدى أن .. أن جسدك القديم ، أعنى جسد (فايز) ، والرأس بالذات قد تشوه تمامًا فى أثناء العملية الجراحية ؛ وذلك حتى يتسنى لنا إخراج المخ منه كاملاً لنزرعه فى هذا الجسد الجديد ..

غمغمت بنبرة قاسية :

ـ جسد القاتل المحترف ؟!

فرد ذراعيه ليهتف :

ـ ومن أين لى أن أعرف بهويته السابقة ؟! كانت مجرد جثة استخرجناها من المشرحة قبل أن تطلع السلطات عليها ، ودفعنا لقاءها مبلغًا مجزيًا للمسئول هناك ..

وبرقت عيناه فى شغف إذ قال :

ـ .. لكن ما تقوله مثير للغاية ، وكفيل بأن يقلب الكثير من الموازين العلمية والحقائق الثابتة ثبوت الجبال الرواسى !

وأفلت من يدى ليذرع المكان رائحًا جائيًا وهو يهتف :

ـ .. الذاكرة ، كيف انتقلت إليك أجزاء من ذاكرة القاتل برغم أننا نزعنا مخه تمامًا ؟! الحقيقة العلمية تقول إن الذاكرة موطنها الأساسى مخ الإنسان ..

جنون العلم فى أنقى صوره :

ـ .. معنى هذا أن النظرية خاطئة ، وأن لكل عضو فى جسم الإنسان ذاكرته الخاصة .. نعم ، إن الذاكرة هى الشىء الذى يجعلنا قادرين على إعادة معايشة الأحداث ، إذن فاليد تتذكر أنها قتلت ، والعين تتذكر أنها رأت ، والأذن تتذكر أنها سمعت ، والقلب يذكر أنه اضطرب ، هذا مدهش .. فتح علمى جديد !

أمسكت بكتفه وأدرته نحوى فى غلظة :

ـ لا شأن لى بكل هذا ، أريد جسدى القديم ..

صاح :

ـ قلت لك هذا مستحيل ..

ثم مال على درج مكتب مفتوح ، وأخرج منه ألبومًا ضخمًا دفعه فى وجهى :

ـ .. يمكنك أن تختار جسدًا آخر من الألبوم ، وسنجرى لك عملية نقل أخرى !

دفعت الألبوم بيدى وأنا أزمجر :

ـ جسد قاتل آخر ؟! أو لعله قتيل هذه المرة ..

قال محاولاً إقناعى :

ـ هذا حدث عارض ، اختر جسدًا وسنتخذ كافة الاحتياطات هذه المـ ...

ولكن عبثًا ، قاطعته فى صرامة :

ـ أريد جسد (فايز أبو اليزيد) ، جسدى !

ألقى (أمجد) بالألبوم فى الهواء صائحًا بكل نبرة فى صوته :

ـ قلت لك هذا مستحيل .. مستحيل !

قربته منى هذه المرة رافعًا إياه لتفارق أقدامه ملمس الأرض ، وضاغطًا على رقبته بقوة :

ـ ستحل لى هذه المشكلة ، وإلا ...

لهث ، وحاول أن يتكلم لكن لم تخرج منه سوى بعض الحشرجة :

ـ .. سيقتل المسخ صانعه (فرنكشتاين) من جديد ..

حشرجة ، وأنا أتابع دون أن يطرف لى رمش :

ـ أمامك ٢٤ ساعة فقط ، وإلا ..

ثم أسقطته فوق الأرض ، وغادرت مكتبه الموبوء ..

لهث هو فوق الأرض متحسسًا رقبته ، قبل أن يخرج هاتفه المحمول ويضغط أزراره :

ـ آلو .. نعم ، هذا هو الدكتور (أمجد هيكل) .. أيها السادة ، نحن نتعرض لخطر جسيم ..

ثم تابع ووجهه يشحب كالموتى :

ـ .. خطر كفيل بكشف كل شىء !

* * *

٨

ـ أين ستذهب ؟!

ـ لنهرب معًا بعيدًا ..

* * *

الهزيع الأخير من الليل ..

نهبت (الفيرارى) أرض الطريق الخالى نحو قصرى البعيد ، كنت أقودها وأنا أفكر فى أشياء بعيدة ، أشياء هلامية لا أعرفها لكنها تبعث فى نفسى سوادًا يشبه بقع الحبر على ورق أبيض ..

بلغتُ القصر ، واستدرتُ لأجد بوابته المفتوحة على مصراعيها فى مواجهتى ، فدلفت بالسيارة فى بطء عبرها وأنا أجول ببصرى بحثًا عن ..

ـ (توبة) !

رفعت عقيرتى بالنداء ، لكنى لم أجده ، ولم يجبنى أيضًا ..

ـ .. (سرور) !!

ولمحت بطرف عينى ذلك الشبح فى شرفة غرفة نومى ، شبح سارع بالاختفاء ..

صمت القبور ، وسيارة نقل ضخمة عابرة فى سرعة أمام القصر ..

أقفز من سيارتى ، أتسلل فى خفة لم أعهدها فى نفسى من قبل كـ (فايز) ، وإن كانت من صميم مهارات (ماركو) بحكم المهنة على الأقل ..

دفعت الباب الخشبى بقدمى ، ووجدت جثة (توبة) غارقة فى دمائها خلفها ، جثة هامدة بلا حراك ..

الأوغاد الـ ...

يقتلون بريئًا لا ذنب له !

يقتلون (توبة) بسببى ، أعنى بسببه !

بكل الحنق والغضب الذى شعرت به اندفعت نحو السلم الخشبى الصاعد إلى الطابق الثانى ، وعندما بلغته تسللت نحو غرفة نومى على أطراف أصابعى ؛ حتى لا يشعر بى أحد من هؤلاء الأوغاد الذين يـ ...

فجأة ، انتابنى ذلك الحس المباغت ..

فجأة ، شعرت بذراعى ينثنى وأنا أستدير لاكمًا وجه شخص لم أره بعينى فى قلب الظلام ، فندت عنه آهة مكتومة قبل أن يخر ساقطًا ، وانثنيت راكعًا بجوار جثته فاقدة الوعى بحثًا عن ..

سلاح !

وجدت معه مدفعًا رشاشًا ، وقنبلة يدوية ، ومسدس صغير ..

كيف استطعت ضربه ؟!

وكيف تسرب إلى الإحساس بوجوده خلفى ؟!

وكيف حدست أنه يحمل أسلحة ؟!

اسألوا (ماركو) ، إنه هو المتحكم فى كل شىء الآن ، لا (فايز أبو اليزيد) الكهل المغلوب على أمره ، والذى كان ينتظر النهاية فى صبر وأناة ..

تحفزتُ واقفًا ، وقد أخفيت الأسلحة فى جيوبى ، وكدت أبتعد عندما وجدت نفسى أصوب المسدس إلى رأس غريمى فاقد الوعى و .....

بوم ..

أنا الآن قاتل ، ولا فخر !

خطر لى أن أكشف عن وجهه الملثم بالسواد ؛ لأكتشف بكل بساطة أنه (ديمون) ، رفيقى الذى كان معى فى سيارتى منذ قليل !

سارعت بالتوجه إلى غرفتى ، ووجدت (سرور) فوق أريكته الوثيرة والأثيرة يسعل دمًا ، وقد اخترقت الرصاصات جسده فى غير موضع ، فدنوت منه بسرعة :

ـ (سرور) ..

ـ اهرب ، فسيأتون الآن ..

نطق بها بصعوبة قبل أن يسلم الروح بين ذراعىّ ، دون أن أجد دموعًا أبكيه بها ..

وبالفعل علت أصوات السيارات العابرة أمام بوابة القصر ، ولمحتُ ـ عبر الشرفة ـ أشباحًا سوداء كثيرة تترجل من داخلها حاملة معها ما لذ وطاب من الأسلحة والذخيرة ..

هل تستطيع مواجهة كل هذا بمفردك يا (ماركو) ؟!

أم أنه قد قدر علينا أن نموت معًا فى جسد واحد ؟!

أصوات أقدام تجتاز البوابة الخشبية ، تنتشر فى الصالةَ السفلية ، تصعد الدرجات فى سرعة ، تكتشف الجثة فى الخارج ، تتجه نحو غرفة النوم وتفتح الباب ، ثم ..

ـ مرحبًا يا أوغاد ..

يجدوننى فى استقبالهم ، أمطرهم برصاصات مدفعى الرشاش ..

اخترقت الرصاصات الأجساد ، وتقدمت نحو خارج الغرفة مواصلاً الإطلاق ، دون أن أسأل نفسى كيف عرفت طريقة استخدام آلة جهنمية كهذه ..

إن (ماركو) يعرف بالتأكيد ..

معركة رهيبة ، سالت فيها دماء ، وفاضت الأرواح ، وتحطم الزجاج ، وانهارت التحف والتماثيل ، وتمزقت قطعة (دالى) الأصلية وسقطت الثريا التركية الهائلة فى منتصف الصالة وانفجرت ساعة الكوكو السويسرية ، لكنى استطعت بعدها أن أجد نفسى فى الخارج ؛ لأقفز فى (الفيرارى) وأتجه بعيدًا ..

رأيت فى المرآة سيارتين خلفى ، لكنى لم أهتم ..

انطلقت الرصاصات تخترق جسم سيارتى ، لكنى لم أهتم ..

أصابت رصاصة كتفى الأيمن ، لكنى لم أهتم ..

بلغت جسر (المحور) وقد انفجر الإطاران الخلفيان ، فتركت السيارة تواصل طريقها نحو المجهول وقفزت عبر الجسر إلى الطريق الممتد أسفله ، الذى يقطعه بالعرض ..

أمسكت كتفى وأنا أتحامل واقفًا ، وركضت أختبئ تحت الجسر ، متسائلاً إن كان مطاردىّ قد رأونى أقفز ، وإن

كانوا سيتبعونى حتى هنا ، عندما لاحت أضواء السيارة ذات الدفع الرباعى المقتربة من بعيد ..

تحفزت وأمسكت بالقنبلة اليدوية فى جيبى ، عندما توقفت السيارة فجأة بجوارى ، وانفتح بابها بغتة ..

ـ اركب !

رباه .. وهذه أيضًا !

المرأة الشقراء ذات المساحيق التى تلطخ وجهها ، والتى طالعنى وجهها فى أكثر من كابوس ليلى ، تمد لى يد المساعدة من مطاردين يريدون حياتى ..

قفزت بجوارها دون تفكير ، وانطلقت هى بنا بعيدًا فى نفس لحظة عبور السيارتين المطاردتين عبر الجسر من فوقنا ..

كدت أسألها عن هويتها ، لكنها تتصور أننى أعرفها بالتأكيد ..

إنها أحد مكونات ماضى (ماركو) البغيض دون شك !

ـ إلى أين ؟!

نظرت نحوى بعتاب :

ـ إلى منزلى .. هل نسيته مثلما نسيت كل شىء ؟!

لاحظت وجود حرف (النون) اللاتينى فى قلادة ذهبية متدلية على صدرها ، بهذا الحرف يبدأ اسمها إذن ..

سألتها وأنا أضغط جرح ذراعى النازف فى ألم :

ـ أمان ؟!

قالت وهى تسرع بالسيارة أكثر :

ـ لاتخف ، (نرجس) تعرف كيف تحميك كما تفعل دائمًا ..

(نرجس) ، هذا هو اسمها إذن ، ولتكن فى حياة (ماركو) من تكون ، المهم أنها أنقذته وأنقذتنى معه ، من خطر أجهله ، وإن كنت أعلم أن (ماركو) يعرفه ..

ولا عزاء لك يا (ميلاد) !

★ ★ ★

طهرت (نرجس) الجرح بصبغة اليود ، وربطته بشاش طبى ..

ـ لا تخش شيئًا ، الإصابة سطحية لحسن حظك ..

تأملت منزلها الفخم ، المطل ـ من موقعه بالطابق الثالث ـ على أكثر أحياء العاصمة رقيًا ، وأنا أمضغ صمتى وأسمو فوق ألمى بينما تقول هى باسمة :

ـ .. مازال (ماركو) يملك أرواحه السبعة !

ثم إنها قدمت لى سيجارة (روثمانز) من علبة فاخرة :

ـ .. تفضل ، نوعك المفضل ..

(فايز أبو اليزيد) لم يكن يدخن ، لكن (ماركو) له رأى آخر على ما يبدو !

سحبت سيجارة حتى لا أثير شكوكها تجاهى ، وأشعلتها لى بقداحة مرصعة بالماس ..

جلست أمامى ، ونظرت إلىَّ فى هيام سائلة :

ـ ألم يحن الوقت يا (ماركو) ؟!

سألتها وأنا أنفث الدخان :

ـ لفعل ماذا ؟!

ـ لنهرب معًا بعيدًا عن كل هذا ، ونذهب إلى مكان بعيد لنبدأ حياة جديدة ؟!

هذا ما بيننا ـ بينهما ـ إذن ..

عشق ووعود ..

صَمَتُّ حتى أسمع كل ما لديها ، وكانت كريمة إلى أقصى درجة :

ـ .. إن النقود التى أتيتنى بها فى الليلة السابقة لاختفائك ما زالت معى ، لم أمس منها شيئًا ، إنها تكفينا للبدء بالإضافة إلى ثروتى التى جمعتها من سنى عملى ..

هنا إذن خبأ (ماركو) أجره عن المهمة التى لم تتم :

ـ أين هى النقود ؟!

سألتها حتى أتأكد ، فاختفت فى الداخل وعادت تحمل حقيبة مَلأى بالأوراق النقدية ..

ـ هاهى ذى النقود ، أحصها لو أحببت ..

تشوشت الرؤية أمامى ، وعاود الصداع مهاجمتى ، وتُهتُ فى الأفكار التى تذهب بى وتجىء كأمواج دون مرسى ..

ثم تحطم رتاج باب الشقة ، حطمته رصاصات متتالية ، قبل أن يدخل رجال متشحون بالسواد وخلفهم رجل أبيض الشعر طوله ، يرتدى حلة براقة ، ويمسك فى يده بعصا طويلة ، وفى فمه سيجار ثخين ..

كل هذا ونحن لم نتحرك بعد أنملة ، كان المشهد قد تجمد دون أن تتغير فيه من تفصيلة سوى ملامح (نرجس) التى عراها الارتياع ..

ضحك الرجل فى استمتاع ، وتقدم إلى منتصف الصالة بين رجاله ؛ ليقول بنبرة تليق بأمير :

ـ رائع ، لم يكن هذا متوقعًا بالمرة !

شهقت (نرجس) أخيرًا وغمغمت :

ـ (ألفا) ؟!

هذا رئيسى الذى يبحث عنى إذن منذ شهور ، والذى وجدنى أخيرًا !

- أعترف بأنى بخست الحب قدره ، كيف لم أتصور أن (ماركو) قد خبأ نقوده بين جدران منزل معشوقته الوحيدة ؛ (نرجس) ؟!

هتفت (نرجس) فى فزع ، بينما أكلت الطيور لسانى :

- هذه نقودك يا (ألفا) ، خذها .. نحن لا نريدها ..

ضحك مرة أخرى ، واقترب منها مشيرًا بعصاه :

- خطأ يا عزيزتى ، ليست النقود هى ما يبحث عنه (ألفا) ..

ويحدجنى بنظرة ثاقبة :

- .. وإنما الولاء !

صمت من ناحيتى ، وهتاف مذعور من ناحيتها :

- ولاؤنا مازال لك يا ..

قاطعها فى صرامة حارقة :

ولاؤك له باسم الحب ..

ثم أشار بعصاه إلىّ :

- .. وولاؤه لنفسه باسم الأنانية وحدها ..

امتد نهر من النار بيننا ، بينما سألته (نرجس) وهى تصرخ كالمجاذيب :

- ماذا تريد منا إذن ؟!

أطبق بقبضتيه على العصا ، وهو يقول كاشفًا عن صف من الأسنان البراقة :

- العقاب ..

وجذب طرفى العصا بيده ؛ ليكشف عن نصل لامع مغروس فى داخلها :

- عقاب خيانتى الوحيد هو .. الموت ..

هنا كان لا بد أن أتحرك ..

انتفضت كإعصار ، ودفعت قدمى فى وجه (ألفا) المقيت ، قبل أن أعتدل كدودة شريطية ، وأمسك بالحقيبة ثم ..

هتف (ألفا) وهو يشير نحوى من مكان سقطته :

- امنعوه من الهرب هذا الـ ...

.. ثم ركضت نحو الشرفة ، واخترقت بجسدى الزجاج لأقفز من على ارتفاع ثلاثة طوابق كاملة ، شاعرًا برصاصة جديدة تستقر فى فخذى الأيسر ..

- لااااااااااا ..

سمعت صرخة (نرجس) الملتاعة ، المختلطة بالطلقات النارية ، وأنا أسقط ، وأسقط ، أسقط ، حتى لامست قدماى الأسفلت اللامع ، و ..

نظر الرجال إلى الشارع من خلال الشرفة لكنهم لم يرونى بالأسفل ..

كنت قد استعدت قدراتى كما يجب ، واختفيت فى لمح البصر ..

ـ اختفى اللعين !

قالها أحد الرجال ، فيما اندس (ألفا) بجسده بينهم ، ومسح بعينيه المكان بحثًا عنى ، حتى أدرك أننى أفلتُّ من بين يديه هذه المرة ..

ـ سأجده ، سأعرف كيف أجده ..

قالها وهو يضغط على أسنانه اللامعة حتى كاد يسحقها بفكيه ، وأعاد النصل اللامع إلى غمده داخل العصا ، متجهًا إلى باب الشقة ، وهو يلقى بنظرة أخيرة على جثة (نرجس) الهامدة ، وقد اخترقت الرصاصات جسدها ، وسالت الدماء منها ملوثة الأرض ..

ـ .. مغفلة !

غمغم بها ، ومضى ..

لقد حجب جسد (نرجس) الرصاصات عنى ..

لقد فدتنى بروحها ..

أعنى ، فدت حبيبها (ماركو) بروحها ..

باسم الحب !

أما أنا فقد كنت أتسلل بخفة الفهود تحت جنح الظلام ، نحو تنفيذ آخر مهمة لى ..

بدقة أكبر ، آخر مهمتين !

* * *

فتح (شوقى) الوغد باب شقته ، مرتديًا فانلة بيضاء داخلية وسروالاً قصيرًا ..

لقد أيقظته من النوم بكل تأكيد ..

ـ أنت ؟!

هتف بها مذهولاً ، فألقيت بحقيبة النقود فى وجهه وأنا أقول فى غضب كاسح :

ـ أجل ، وهذه هى النقود التى دفعتها لقتل عمك ..

أسكته الذهول ، وتابعت أنا :

ـ .. وهو يرسل لك هذه الهدية البسيطة ..

رصاصات ، صراخ ، دماء ممتزجة بأوراق النقود ..

ثم التسلل مرة أخرى تحت جنح الليل ، فى خفة الفهود !

★ ★ ★

ـ آلو .. من معى ؟!

ـ (هالة) ؟! آسف لإيقاظك مبكرًا هكذا !

من ؟! (ميلاد) ؟! هل أنت على ما يرام ؟!

ـ حتى الآن أنا على ما يرام ، اسمعينى جيدًا ..

ـ أسمعك ..

ـ عندما تذهبين إلى المكتب فى الصباح ستجدين توكيلاً رسميًا عامًا باسمك فى درج مكتبى ، أمنحك من خلاله الصلاحية التامة للتصرف فى جميع ممتلكاتى ..

ـ توكيل لى ؟!

ـ أجل ، صنعته لظروف طارئة كهذه ..

ـ ما الذى يحدث يا (ميلاد) ؟! أنا لا أفهم شيئًا !

ـ ليس هذا وقت الشرح فأنا أتحدث من كابينة فى الشارع ،

كل ما أطلبه منك الآن وأنا أعلم أنك ستفعلين ما أقول ، أن تتبرعى بثروتى كلها فى أوجه الخير والبر والإحسان !

ـ ماذا ؟!

ـ كما سمعتنى ، أعلم أنها مسئولية ضخمة يا (هالة) لكنى لن أجد من أمنحه ثقتى أكثر منك لتوليها !

ـ (ميلاد) إننى ..

ـ قارب رصيد البطاقة على الانتهاء ، سأعاود الاتصال بك فيما بعد ..

ـ (ميلاد) ، متى سأراك ؟!

ـ لا أعلم يا (هالة) ، لا أعلم ..

ـ لكنى ..

ـ الوداع !

وأغلقت السماعة فى عنف كأنى أحارب نفسى ، ثم عاودت رفعها ، ناظرًا فى ورقة اقتطعتها من دليل الهواتف ، تحوى جميع أرقام شركات الطيران التى تنظم رحلات للشرق الأقصى ..

مهمتى الثانية ..

والأخيرة ..

★ ★ ★

هبط الدكتور (أمجد هيكل) من سيارة الأجرة أمام (ميناء القاهرة الجوى) ، وشمس الظهيرة تتوسط كبد السماء ، واتجه بسرعة نحو بوابة المغادرة عندما ..

سقط على الأرض مضرجًا فى دمائه ..

تحلق المسافرون وضباط الأمن حوله ، وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة محاولاً النطق بشىء ما ..

ومن بعيد ، استقل نفس سيارة الأجرة التى أتى بها شخص آخر يرتدى معطفًا طويلاً برغم حرارة الصيف ؛ ليخفى فيه مسدسًا مزودًا بكاتم للصوت ..

شخص أصلع له شامة على الخد الأيسر ، ويدخن سيجارة (روثمانز) فاخرة !

لقد قتل المسخ صانعه الدكتور (فرنكشتاين) ، الأمر الذى أصبح مكررًا إلى درجة أنه لم يعد يثير عجب أحد .. على الإطلاق !

★ ★ ★

٩

الخريف من جديد ، بأوراقه الجافة الصفراء ، تكسو حديقة قصرى المغلق بالشمع الأحمر ، دون أن تجد من يكنسها كالماضى القريب ..

وبعد ..

فها أنذا أسير على الطريق الصحراوى ..

وحيدًا فى الزحام ..

مطاردًا من العدالة ..

مطاردًا من عصابة قتلة ..

ما من مكان أذهب إليه ..

ما من منزل ..

ما من نقود فى جيبى ..

شبح يسير بين البشر على غير هدى ..

بلا وجهة ..

بلا غاية ..

بلا أمل ..

أنتظر موتًا لا يأتى ..

وأعاقب بأبدية مستحيلة ..

لم أقو على قتل نفسى ، خوفًا من ألا أموت ..

فإن مت ، فخوفًا من العقاب الذى ينتظرنى كجزاء على ما اقترفته يدى من آثام ..

أتمنى أن أصاب برصاصة أخرى فى ظهرى تحمل لى النهاية غير المتوقعة ..

والحياة الجديدة الموعودة ..

أتمنى أن أقابل فى الشارع وجهًا أعرفه ، لكن الوجوه جميعها غربة تحملنى إلى غربة ..

(هالة) ؟!

لن ألوث نقاءها بقصتى اللعينة ..

ولن أجازف بخسارة إحساسها الطيب الأخير عنى ..

سأظل أراقبها من بعيد ..

من قلب وحدتى ، وسط الزحام ..

ربما يلقانى أحدكم فى الشارع يومًا ..

ربما نتصادم بالأكتاف ..

ربما يلقى على التحية ويمضى ..

ربما يطلب منى سيجارة (روثمانز) وأعطيه ..

سيأخذها ويمضى ..

لكنه لن يعرف أبدًا ، لن يتوقع أبدًا ، أن لى عقل ملياردير كهل سابق ..

ووجه قاتل أجير محترف ..

كوعد لم يتم ، بحياة جديدة !

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]

روايات مصرية للجيب

سلة الروايات

في كل رواية متعة دائمة !!

محمد سليمان عبد المالك

حياة جديدة

نحن نعطيك (حياة جديدة) بسعر مغرٍ ..
الاختيار لك وحدك ..
أوقف شيخوختك ..
واستمتع مرة أخرى بحرية الشباب ..
وبالسعادة الأبدية .. !

الثمن في مصر ٢٠٠ ص
ومايعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم

طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

مطابع سلاح التلميذ